عالم المغامرات

(٢)

القيد المزدوج

تأليف

أشرف السيد العقبى

رسوم

د. يحيى عبده

جميع حقوق الطبع والنشر
محفوظة لشركة **سفير**

رقم الإيداع ٥٤٧٨ / ١٩٩٢
الترقيم الدولي: - - 261 - 977 : ISBN

مقدمة

كانت وما زالت التسلية الهادفة هى ضالة كل قارئ وناشر ومؤلف جاد وكذلك كل الجهات الأمينة التى تعمل فى مجال ثقافة الناشئين والشباب، وقد زادت الحاجة إلى الأعمال الساعية إلى تحقيق هذا الهدف الآن أكثر من أى وقت مضى، خاصة وقد بدأت القراءة تحتل مكان الصدارة من جديد فى اهتمامات أبنائنا.

وقد وجدنا أنه لسد الفراغ الموجود فى هذه النوعية التى تهدف إلى الارتقاء بذوق أبنائنا ولغتهم وتنمية ثقافتهم وقيمهم بأسلوب يحترم عقولهم وتفكيرهم ويسمو بخيالهم؛ رأينا أن نقدم هذه السلسلة التى تتسم أحداثها بالمتعة والإثارة فى شكل قصصى جذاب.

فبالرغم من أن جميع الأحداث من نسج الخيال فإن أماكن وقوعها حقيقية، وكذلك ما ورد فيها من معلومات.

وقد راعينا فى هذه السلسلة أن تحمل كل قصة من القصص المقدمة – فى طياتها– قضية أو عدّة قضايا تهم القارئ وتمس حياته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فيشعر أن هناك من يقف بجانبه ويشاركه التفكير فيما يهمه بعيدًا عن أسلوب الوعظ المباشر.

وقد راعينا أيضًا فى هذه السلسلة خروج القصة فى قطع صغير يسهل على القارئ اصطحابها معه فى أى مكان، وكذلك جودة الطباعة وجمال الرسومات المعبرة.

التعريف بالشخصيات

شريف فهمى : مهندس زراعى شاب مجتهد، شديد الذكاء، ذو ملامح مصرية، قمحى اللون، رشيق القوام، متوسط الطول، طيب القلب ومتدين، مثقف وطموح ، واسع الاطلاع، فى العقد الثالث من عمره، يجيد الإنجليزية والفرنسية،٣يعشق الصحراء ولا يحب ضجيج المدن، اندمج مع الواحة وأهلها، وأحبها وتفانى فى خدمتها، وتعمق فى دراستها حتى عرف كل دروبها وخباياها.

صفوان : كان أحد أعضاء إحدى المنظمات الدولية التى تعمل فى مجال الجريمة والتهريب، وقد قام « شريف » بإنقاذ حياته عدة مرات ؛ لذلك أصبح مدينًا له بحياته، وأصبح مساعدًا له فى حل الألغاز التى تواجهه؛ وقد ترك العمل بالمنظمة وهو الآن يعمل عملاً شريفًا ، وهو خبير بكل طرق الإجرام ووسائله ، وله قبضة قاتلة وجسم قوى، وبذلك اجتمع ذكاء « شريف » مع قوة « صفوان » .

أبو الدهب: أحد أفراد عصابة اللورد التى يتزعمها« البدراوى »، والتى تعمل فى تهريب السلاح وهو رجل أعمال ذو نفوذ كبير.

* * *

١ - شاطئ المفاجآت

اتفق الصديقان « شريف » و« صفوان » على قضاء عدة أيام على شاطئ البحر الأحمر، طلبًا للراحة والهدوء.

وفى الصباح الباكر انطلقا فى طريقهما إلى المكان المنشود، ووصلا إلى إحدى المناطق على الشاطئ ذى الرمال البيضاء، والمياه الزرقاء الصافية والهواء المنعش الجميل.

أوقف « صفوان » السيارة على نداء « شريف » له قائلاً:

– هنا يا « صفوان » سنقيم معسكرنا، ونقضى إجازتنا ، لقد وصلنا والحمد لله إلى وادى جاسوس.

أثار الاسم فضول « صفوان » وتعجبه، فقال:

– هل قلت وادى جاسوس؟

– نعم يا صديقى هكذا تسمى هذه المنطقة.

– ولماذا سُميت بهذا الاسم؟

– لأن الجواسيس فى الماضى كانوا يختارون هذا الوادى الجميل الهادئ البعيد عن الأنظار ويهبطون على شاطئه سرًّا، ثم ينطلقون منه إلى داخل بلادنا، بعد أن يتركوا قواربهم المطاطية فى المياه المتداخلة مع الرمال.

نظر « صفوان » بإعجاب إلى صديقه « شريف » وقال:

مكان جميل ولكن المعلومات التى ذكرتها تعيبه وتثير الرعب فى

النفوس.

ضحك «شريف» وقال:

إنما كان ذلك منذ زمن بعيد، لكن شواطئنا الآن آمنة بفضل الله ثم بفضل يقظة رجال حرس الحدود الذين يقطعون الشاطئ ذهابًا وإيابًا، يقتفون أى آثار للأقدام على الرمال، سواء كان صاحبها متجهًا من البر إلى البحر أو العكس، فإذا ما تسلل أحد إلى شواطئنا فإنهم يتعقبونه ويقبضون عليه.

– معنى هذا أن ذلك الشاطئ الهادئ الجميل والبعيد لا يأتى إليه من الناس إلا القليل. وبعلم حرس الحدود ؟

– نعم يا «صفوان» وهذا سر جماله ونظافته، وصفاء مياهه حتى الآن.

فتح «صفوان» ذراعيه، وأخذ نفسًا عميقًا وكأنه يحتضن الهواء، وقد مرت عليه نسمة لطيفة صافحت وجهيهما المتعبين من طوال السفر؛ فأعادت إليهما بعض نشاطهما.

أطلق «شريف» زفيرًا طويلاً، وقال:

هيا يا «صفوان» نعد معسكرنا وندق خيمتنا.

تعاون الصديقان معًا فى نشاط حتى انتهيا من إقامة المخيم، ثم جلسا وأسند كل منهما ظهره إلى الآخر لالتقاط أنفاسه.

وفجأة ظهرت سيارة متجهة إليهما، فأشار «صفوان» إليها، قائلاً:

– ما تلك السيارة يا « شريف » ؟ ألم تذكر أن هذا المكان الهادئ لا يرتاده إلا القليل؟

التفت « شريف » إليها ، وقال :

– نعم يا صديقى، لكن هذه السيارة لا تخص رواداً للمنطقة كما تظن ، إنما هى تابعة لقوات حرس الحدود .

وصلت السيارة إليهما ونزل منها ضابط، وما إن رأى « شريفًا » حتى ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة، وقال :

– « شريف » !! مرحبًا مرحبًا، هل جئت هنا فى نزهة أم فى عمل؟

رد « شريف » بعد أن عانق الضابط قائلاً :

– بل فى نزهة .

إننى أتذكر أيامك معنا، يوم كنت مجندًا فى جهاز المخابرات ، وأعلم مدى حبك الشديد لهذا المكان .

– نعم يا صديقى، ولم تستطع الأيام أن تنسينى هذا المكان الجميل، لكم اشتقت إليه وإليكم، ولكنها مشاغل الحياة ومسئولياتها .

– أين تعمل الآن يا « شريف »؟

– أعمل فى الواحة .

أشار « شريف » إلى « صفوان » وقدمه إلى الضابط قائلاً :

– صديقى الحميم « صفوان »، وشريكى فى هذه الرحلة الممتعة .

– مرحبًا بك يا سيد « صفوان » على شاطئ البحر الأحمر.

سأل الضابط « شريفًا » قائلاً:

– كم ستقضون معنا؟ وهل....

وقبل أن يكمل كلامه قاطعه « شريف » قائلاً:

– لا تذكرنى، فأنا متذكر للتعليمات جيدًا، وقد أحضرت معى تصريحًا لإقامة المعسكر،وها هو التصريح.

قرأ الضابط التصريح وابتسم قائلاً:

– أنت دائمًا تحترم النظام والقوانين يا « شريف »، أتمنى لكما إقامة سعيدة ، ونحن طوع أمركما فيما تحتاجان إليه.

– أشكرك يا صديقى.

حياهما الضابط وانصرف لاستكمال تفقد الشاطئ.

مالت الشمس إلى الغروب، ومرت نسمة باردة فسرت رعشة خفيفة فى جسد « شريف » ، فنادى على « صفوان »:

– هيا بنا نستريح قليلاً، ونتناول شرابًا ساخنًا قبل أن نقوم بأول عمل فى برنامج رحلتنا.

– وما هى أولى تلك الأعمال يا « شريف » ؟

– سوف نستريح عدة ساعات من عناء السفر، ثم نقوم ليلاً لنمارس هواية صيد الأسماك.

– نعم إنها فكرة جميلة.

وأثناء حديث الصديقين تثاءب « شريف »، وانتقلت عدوى التثاؤب إلى « صفوان » فوضع يده على فيه قائلاً:

– أراك على خير بعد عدة ساعات يا« شريف » بإذن الله، وتدثر كل منهما بغطائه، وراحا فى نوم عميق.

أرخى الليل سدوله على الشاطئ الجميل وظهرت نجوم السماء متلألئة، وراحت المياه ترتطم بالشاطئ ثم ترتد إلى البحر سريعا،ووسط ذلك الجو الساحر والغامض فى الوقت نفسه ارتفعت صيحة مرعبة من أعلى قمة أحد الجبال على مسافة بعيدة من الشاطئ، فوصل الصوت واضحًا جليًّا وتردد صداه عند الشاطئ فاستيقظ « صفوان » على هذا الصوت ، وخرج من الخيمة يستطلع الأمر فإذا بشبح حيوان ضخم أسود اللون يعدو بعيدًا فى اتجاه جبل، فهرع إلى داخل الخيمة ، وأيقظ صديقه، قائلا :

– « شريف » .... « شريف » ، لقد رأيت شيئًا مرعبًا.

قام « شريف » مفزوعًا، وهو يقول:

– وماذا رأيت يا « صفوان » ؟

– لقد رأيت غوريلا ضخمة تعدو فى اتجاه الجبال.

ضحك « شريف » . وقال :

– أنا أعلم أن تلك المنطقة بها العديد من صورالحياة البرية، وبها بعض الحيوانات مثل الغزال الذى كنا نراه فى الصباح الباكر يتناول الأعشاب على الشاطئ، وكذلك توجد أنواع من القردة، لكنى لم أسمع أبدًا عن وجود غوريلات بهذا الحجم الذى رأيته .قال « صفوان » فى حماس وثقة :

– أقسم لك إنى رأيت واحدة منها، وسمعت صراخ أخرى .

رد « شريف » قائلاً :

– سوف نتأكد من ذلك فى الصباح عندما نرى آثار أقدامها على الرمال، وعلى كل حال أنا على يقين أنها لو وجدت فسوف تهاب البشر، وتتجنبهم أكثر مما يهابونها . والآن هيا يا « صفوان » هل أعددت عدة الصيد ؟

– لا ليس بعد، سأوقد أولاً مصابيح الكيروسين المضادة للهواء .

– إذن دعنى أساعدك .

وأخذا يعدان العدة للصيد، وجهزا قاربهما الصغير الذى أحضراه فى السيارة، استقلاه إلى مسافة ليس بعيدة عن الشاطئ فقال « شريف » وهو يبتسم :

– هل تصدق يا « صفوان » أننا نطفو الآن فوق الشاطئ؟

– كيف هذا؟

– إن المسافة من أول الشاطئ حتى هذا المكان تكون فى الصباح خالية تمامًا من المياه لأن الماء ينحسرعنها بسبب ظاهرة الجذر، أما الآن فإن المد البحرى يغرق هذ الجزء من الشاطئ بالماء. وبارتفاع يصل إلى متر ونصف المتر تقريبًا.

– إذن هيا بنا نبتعد أكثر وأكثر داخل البحر.

– لو ابتعدنا أكثر من ذلك فسوف نجد أنفسنا فى منطقة يبعد فيها القاع كثيرًا ؛ لذلك من الأفضل أن نكون على حافة المنطقة العميقة فهذا أنسب للصيد، وآمن على قاربنا الصغير.

– ولكن كيف تعرف أننا على حافة المنطقة العميقة وليس بعدها بكثير؟

– من لون المياه يا «صفوان» فالمياه فى المنطقة العميقة تكون أكثر زرقة وقتامة، وفيها صور الحياة البحرية كافة بدءًا من الشعب المرجانية الجميلة، والأسماك الملونة وانتهاء بأسماك القرش والدرافيل ، والباراكودا.

قال «صفوان» وهو مضطرب: القرش! هل قلت أسماك القرش ؟ أرجوك لا تذكر هذه الأسماك المرعبة الآن ونحن قرب عرينها.

– ليست كل أسماك القرش مفترسة يا «صفوان» ، فهناك خمسة وعشرون نوعًا منها، وبعضها فقط هو المفترس.يا لها من معلومة مطمئنة، ولكن أخبرنى يا «شريف» كيف سأعرف ما إذا كانت مفترسة أم لا، هل سأسألها؟!

ضحك «شريف» وقال:

– اطمئن يا « صفوان » فنحن على حافة المياه العميقة ولن نتخطاها، وإذا وجدت هنا أسماك قرش فلن يزيد طولها على نصف متر، وهذه يمكننا اصطيادها بسهولة انتقامًا من أجدادها السفاحين.

أدخل هذا الحديث بعض الطمأنينة على قلب « صفوان » وألقى بالشص بعيدًا، وهنا صاح « شريف » مهللاً:

– رمية قوية بارعة يا « صفوان » أتمنى لك التوفيق، وألقى « شريف » شصه وما هى إلا لحظات حتى أخذ الخيط يهتز، فسارع « شريف » يجذب سنارته وهو يقول:

– وقع الصيد يا « صفوان ».

تعاون الصديقان فى جذب الصيد الذى كان يقاومهما بشدة، ويرتفع ثم يغوص ويقفز فوق الماء، والصديقان متشبثان بالخيط، ويجذبانه تارة ويفلتانه تارة أخرى حتى وصل إلى أسفل قاربهما وأمسكاه فإذا هى سمكة لا يقل وزنها على خمسة كيلو جرامات.

فرح الصديقان بصيدهما، وأعاد « شريف » الشص إلى الماء ، أما « صفوان » فلم يهتز خيطه فنصحه « شريف » أن يطمئن على أن الطعم ما زال موجودًا ، فقام « صفوان » بجذب الخيط فبدا ثقيلاً فقال لشريف:

– إن الخيط قد اشتبك فى شىء ثقيل، عاونى فى جذبه يا « شريف ». قال « شريف » : لا بد أنها سمكة ضخمة ، فمثل تلك الأنواع تبتلع الطعم وتظل ساكنة فى مكانها.

أخذ الصديقان يجذبان الخيط بشدة، وفجأة ظهرت من بعيد علامة يعرفها « شريف » جيداً، ويخشاها كل الصيادين، إنها زعانف أسماك القرش وقد شرعتها فوق الماء معلنة عن وجودها مما أثار حيرة الصديقين، فهما كلما جذبا الخيط أكثر اقتربت منهما أسماك القرش أكثر وأكثر.

قال « شريف » ساخرًا ليبدد أثر الخوف الذى بدا على وجه « صفوان » :

– لا بد أنك قد أوقعت بأحد أقاربها، لذلك يتبعون شصك.

وفجأة؛ هاجمت الأسماك الشص وجذبته بقوة شديدة، وكادت تلقى بالصديقين من فوق قاربهما، لكن تلك الجذبة جعلت الصديقين يصران على الانتصار فى هذه المعركة الاستفزازية التى فرضت عليهما فقاما بكل ما أوتيا من قوة وسرعة بجذب الخيط حتى وصل أسفل القارب فى المنطقة غير العميقة، وبدا تحت الماء جسم أسود لم يتبيناه، فرفعه « شريف » فى حذر ، وما إن وصل إلى سطح الماء حتى أصابت « صفوان » رعدة كاد يقع من أثرها على ظهره، وصرخ قائلاً: ما هذا؟ قتيل ! قتيل!!

كان المشهد مرعبًا، حقيبة سوداء تشبه حقائب رجال الأعمال مربوطة بسلسلة إلى ذراع رجل لم يتبق منه عالقًا بالسلسلة غير معصمه إلى الكوع، وفى أحد أصابعه خاتم ذهبى.

أخذ « شريف » و« صفوان » يسعيان بشدة للابتعاد عن حدود هذه المنطقة هربًا من أسماك القرش.

وصل القارب إلى الشاطئ فى دقائق وسط ذهول الصديقين ودهشتهما، فتعاونا فى حمل صيدهما إلى الخيمة فوجدا مفاجأة أخرى فى انتظارهما، حيث كانت جميع محتويات الخيمة مبعثرة على الأرض، بينما توجد آثار أقدام حيوان ضخم مطبوعة على الرمال، وما إن رآها « صفوان » حتى قال:

– إنها الغوريلا الضخمة التى رأيتها، هذه آثار أقدامها العملاقة، إلى أين أحضرتنا يا « شريف » إلى نزهة أم إلى الأدغال؟

تمدد « شريف » على الأرض طلبًا للراحة، حتى يستجمع شتات فكره، وتوازن عقله، بينما حمل « صفوان » عصا غليظة وخرج فى عصبية يبحث حول الخيمة عن ذلك الحيوان المتطفل، ربما عثر عليه أو على أى حيوان مفترس ليبعده قبل أن يهاجمهما، فقد أصبح كل شىء محتملاً بعد الآن.

لم يجد « صفوان » غير آثار تلك الغوريلا على الرمال، فعاد وجلس بجانب « شريف » وقال:

– إننى حقًّا آسف يا « شريف » لما بدر منى، فقد كادت أعصابى تفلت بسبب ما حدث.

– لا عليك يا صديقى إنها حقًّا مفاجآت غير متوقعة.

أخذ « شريف » يتحدث مع صديقه وهو ينظر إلى تلك الحقيبة المقيدة بتلك اليد المبتورة، فلاحظ « صفوان » ذلك لكنه أراد أن يتركه

فى تأمله فى أدب فقال :

– سأشعل بعض الأعشاب لعمل كوبين من الشاى الساخن ربما يساعدنا على استعادة هدوئنا .

ظل « شريف » ينظر إلى الحقيبة، وفجأة هب واقفًا، وهجم على يد « صفوان » التى كانت ممسكة بجذوة مشتعلة، فأخمدها فى الرمال، وقال بانفعال شديد :

– لا ، لا تشعل أى نار، وإلا فقدنا حياتنا .

رد « صفوان » فى دهشة :

– ماذا حدث يا « شريف »؟

– اجلس وسوف أفهمك .

قال « صفوان » بعصبية :

– هيا أفهمنى يا صديقى، فلم أعد أحتمل كل هذا .

– ماذا جرى لك يا « صفوان » ؟ لقد تعرضنا سويًّا لما هو أسوأ من ذلك وكدنا نفقد حياتنا أكثر من مرة، ولم أرك بمثل هذه العصبية من قبل.

– لا أدرى ماذا حدث لى اليوم، ربما بسبب هذه المنغصات التى كادت تفسد علينا رحلتنا .

– اهدأ واستمع إلىَّ جيدًا .

أشار « شريف » إلى اليد والحقيبة والسلسلة قائلاً :

– أتدرى ما هذا؟

قال « صفوان » :

– لا بد أنه مسافر سقط من إحدى السفن ، وافترسته الأسماك .

– لا يا صديقى، إنها يد عميل.

– ماذا تقصد بالعميل؟

– إننى أعلم جيداً ذلك النوع من السلاسل والحقائب، إنها تسمى القيد المزدوج.

– وماذا يقصد بالقيد المزدوج؟

– إنها حقيبة ذات سلسلة تربط بيد العميل، ولا تفتح الحقيبة ولا يفك القيد إلا بمفتاحين أصليين أحدهما مع مرسلها، والآخر مع مستقبلها، أما العميل الذى ربط فى معصمه الحقيبة فلا يملك التخلص من الحقيبة أو القيد ، إنما هو مجرد وسيلة نقل فقط.

– إذن فهذا القيد قد قيد العميل والحقيبة إلى بعضهما ، فلا فكاك لأحدهما بعيدا عن الآخر ، لذلك فهو قيد مزدوج.

– نعم.

– ولكن لماذا كل هذا الاحتياط؟

– حتى لا يفكر العميل فى الهروب بالحقيبة التى غالبًا ما تحوى أسرارًا مهمة.

– إنها فكرة ساذجة يا «شريف»، أليس من السهل تحطيم القيد أو الحقيبة؟

ضحك «شريف»، وقال:

– لا يمكن للعميل أن يفكر فى هذا، وإلا كانت نهايته.

– لماذا؟

– لأن هذه الحقيبة محاطة من كل اتجاه بأسلاك دقيقة تتصل بجهاز تفجير يعمل عند اصطدامها بجسم صلب، أو عند محاولة فتحها بغير مفتاحها الأصلى، وكذلك اليد.

– إذن فهذه الحقيبة تحتوى على شحنة متفجرة، لذلك أمرتنى بعدم إشعال النار خوفًا من انفجارها.

– نعم يا صديقى، ولكن.....

– ولكن ماذا؟

– لقد كدت أنسى شيئًا مهمًّا وهو أن الحقيبة تنفجر ذاتيًّا بعد ٢٤ ساعة من غلقها ما لم يتم إيقاف جهاز التفجير عند فتحها بمفتاحها الأصلى.

وهنا هب «صفوان» واقفًا وهو يقول:

– يا إلهى، لقد أحضرنا قنبلة موقوتة إلى مخيمنا، ولا نعرف متى تنفجر.

وأثناء ذلك أخذ « شريف » يقلب الحقيبة برفق وهدوء، وهو يقول:

– بل يمكننا معرفة توقيت انفجارها، وها هو ذا.

– وما ذلك يا « شريف »؟

– ساعة إلكترونية تبين للعميل الزمن الذى مر منذ إغلاق الحقيبة، وهو نفس موعد البدء فى حساب الأربع والعشرين ساعة.

– وكم مر من الساعات حتى الآن؟

– ست عشرة ساعة تقريبًا، إلا أن يحدث الاحتمال الأخير .

– وما هو الاحتمال الأخير يا « شريف »؟

– أن يتم تفجير الحقيبة عن بعد بواسطة جهاز لاسلكى مع الجهة المرسلة للحقيبة.

– كيف؟

– إن من يرسل مثل هذا النوع من الحقائب ينتظر رسالة لاسلكية أو إشارة من الجهة المستقبلة تفيد وصول الحقيبة وفتحها واستلام ما بها ، ويبدو أنها فى حالتنا هذه سفينة تنتظر فى عرض البحر خارج المياه الإقليمية، وهذا يعنى نجاح المهمة، وإيقاف جهاز التفجير بمجر دفتح الحقيبة بواسطة النسخة الأصلية الثانية.

– وماذا بعد ذلك؟

– غالبًا ما تكون مدة وصول العميل معروفة، فإذا لم يصل خلال تلك الفترة، فهذا معناه تعرض العميل لمكروه (غرق – هرب – قُبِض عليه . . .إلخ)، وهنا يلجئون إلى تفجيرها حتى لا يحصل أحد على محتويات الحقيبة.

– وماذا لو كان العميل فى مأزق ألا يتركون له فرصة التخلص من مأزقه؟

– نعم ، لذلك فالتفجير عن بعد لا يتم إلا بعد عشرين ساعة وهو زمن كافٍ للبحث عنه، أو إعطائه فرصة للعودة حيًّا، أما إذا تأكد لهم موته أو فقده نهائيًّا حتى قبل هذا الموعد، فإنه يتم تفجير الحقيبة لاسلكيًّا، ومعها العميل بطبيعة الحال.

قال « صفوان » وهو يحاول استرجاع وسائل تفجير الحقيبة:

– على ذلك فإن وسائل تحطيم الحقيبة ثلاث: إما محاولة تحطيمها أو فتحها بغير مفتاحها الأصلى أو تنفجر ذاتيًّا بعد أربع وعشرين ساعة، أو تنفجر لاسلكيًّا عن بعد فى أى وقت.

– نعم هذا صحيح يا صديقى.

– وما العمل يا « شريف »؟

– لا بد أنهم الآن قد علموا بعدم وصول الحقيبة ويحاولون بكل الطرق البحث عن عميلهم . ولا يدرون أن أسماك القرش قد افترسته.

– وإلى متى سيستمر بحثهم ؟

– أعتقد طوال الليل، خاصة أن رجال حرس الحدود يبدءون دورياتهم وعملهم فى الصباح الباكر على الشاطئ.

قال « صفوان » : نرجو أن يظل الأمل يراودهم فى العثور عليه حيًّا حتى لا تنفجر الحقيبة قبل أن نتصرف.

توجه « صفوان » ناحية القارب، ونظر إلى البحر فوجد الأمواج تعلو، ولاحظ أن هناك جسمًا أسود تتقاذفه الأمواج حتى ألقته الأمواج بجوار صخرة عالية على الشاطئ، وعندما اقترب منه وجده قاربًا لا يقل طوله عن خمسة أمتار فأسرع ليخبر « شريفًا » بما رأى. وبمجرد رؤية « شريف » للقارب قال:

– إنه قارب مطاطى مزود بمحرك ويستغل فى الرحلات القصيرة والمتوسطة وهو يمثل النصف الآخر من اللغز، فلا شك أنه كان وسيلة ذلك العميل فى الوصول إلى هدفه.

كان القارب يعلو ويهبط مع المياه، بينما « شريف » على متنه يتفحصه جيدًا ، وقد التقط منه بعض الأشياء بحذر ووضعها فى منديله، ثم نظر إلى خزان الوقود وأومأ برأسه ، ثم ربط القارب إلى صخرة قريبة وانصرف.

اتجه « شريف » وصديقه إلى الخيمة وطأطأ رأسه، وهو غارق فى أفكاره، بينما « صفوان » لا يكاد يفهم شيئًا، فأسرع بسؤال « شريف » :

– ماذا وجدت ، يا « شريف » ؟

– وجدت ثلاثة أشياء قد تساعدنا فى تفسير ما يجرى .

– وما هى ؟

أولاً : خزان الوقود الخاص بمحرك القارب فارغ تمامًا، وهذا شىء غير عادى، فلا يعقل أن ينسى ملء الخزان فى رحلة مهمة كهذه .

– والثانى والثالث ؟

– بقايا سيجارتين وعلبة ثقاب لم ينقص منها غير عود واحد و . .

– وماذا يا « شريف » ؟

أجاب « شريف » وهو ينظر إلى غطاء علبة الثقاب من الداخل :

– ورقمًا مكونًا من سبعة أرقام ، قد يكون رقم هاتف أو سيارة أو حساب بنك، هيا بنا يا « صفوان » لقد جاء وقت العمل .

– إلى أين يا « شريف » ؟

– اركب السيارة وسأخبرك فى الطريق .

حمل الصديقان ما وجداه، واتخذا طريقهما بمحاذاة الشاطئ حتى وصلا إلى مكان كتب عليه : قيادة المخابرات .

* * *

٢ - لغز العميل المجهول

رحب القائد بالصديقين خاصة بعد أن رأى « شريفًا » وتذكر تاريخه المشرف عندما كان زميلاً لهم فى جهاز المخابرات.

قص « شريف » كل ما حدث على القائد، فقام القائد على الفور، واستدعى خبير المفرقعات وتوجه الجميع إلى غرفة خاصة ، وتم إحضار الحقيبة التى احتجزها الحارس عند البوابة، ووضع خبير المفرقعات الحقيبة على منضدة خاصة، وأخذ يمرر عليها جهازًا صغيرًا يعمل بالأشعة وعند أحد أطراف الحقيبة أطلق الجهاز صفيرًا متقطعًا ، فقام خبير المفرقعات بفتح ثقب صغير جدًّا فى نفس المكان الذى صدر عنده الصفير ثم بدأ بمعالجة الثقب بمادة كيماوية، وبعد لحظات كادت الأعصاب خلالها تتحطم خوفا من انفجار الحقيبة ابتسم الرجل وهو يقول:

– الآن يمكننا فتح الحقيبة فى أمان ، لقد أبطلت عمل المفجر، وتوقفت الساعة الإلكترونية عن العمل.

تنفس القائد فى ارتياح وقال:

– ما نوع هذه الحقيبة؟

رد خبير المفرقعات : إنها من أحدث الأنواع التى ظهرت حتى الآن وأشدها تعقيدًا.

قال « شريف » : لا بد أنها تخص جماعة متخصصة فى أعمال الإرهاب.

وعند ذلك سمع الجميع صوت طرقة خفيفة تنبعث من داخل الحقيبة، فقال خبير المفرقعات :

الحمد لله، لقد انطلقت منذ لحظة إشارة التفجير اللاسلكى، ولولا فضل الله ثم إعطال المفجر لانفجرت الآن ، وقضت علينا وعلى المبنى بأكمله. قال « شريف » : الحمد لله، لا بد أنهم قد يئسوا من العثور على عميلهم حيًّا.

– الآن هيا إلى مكتبى.

ذهب الجميع إلى مكتب القائد وجلسوا فى ارتياح، وأمر لهم القائد بمشروب ساخن، ثم نظر إلى « شريف » وقال :

– أعتقد أن عملك فى المخابرات قد أفادك كثيرًا، وأنه من سوء طالعهم أن تقع الحقيبة فى يدك أنت بالذات، فأنت لم تنس شيئًا وقمت بكل الإجراءات الصحيحة، والتى كان سيقوم بها أى ضابط لو كان فى مكانك.

– إنه توفيق من الله ياسيدى القائد.

– والآن ما هى وجهة نظرك فى هذه القضية يا « شريف »؟

قال « شريف » وهو يفتح منديله على مكتب القائد :

– أرجو أولاً تحليل أعقاب السجائر هذه، وتحرير علبة الثقاب، كما أرجو أخذ بصمات اليد قبل أن تذهب معالمها بفعل التحلل.

أمر القائد بتنفيذ مااقترحه « شريف »، وتم إرسال العينات إلى المعمل.

قال « شريف » : الآن علينا أن نفتح الحقيبة قبل أن أبدى أى ملاحظات .

قام القائد بفتح الحقيبة بحرص، وكانت المفاجأة مذهلة للجميع فالحقيبة فارغة إلا من بعض الأوراق البيضاء.

ساد الوجوم وجوه الحاضرين بينما علت الابتسامة وجه « شريف » فسأله القائد : لماذا تبتسم يا « شريف »؟

– ذلك لأن حدسى قد صدق.

– وماذا كان حدسك؟

– كنت أتوقع أن تكون الحقيبة خاوية من الأسرار المهمة وبها أشياء لا قيمة لها، لإعطاء ثقل يوحى بامتلائها كما حدث.

قال القائد : إذًا لماذا حاولوا تفجيرها لاسلكيًّا؟

– أعتقد أنهم خدعوا مثلنا.

– من تقصد؟

– أقصد مرسلى الحقيبة.

– وكيف هذا؟

– بالاستنتاج ووضع الملاحظات بجانب بعضها.

– مثل ماذا؟

– مثل تنك الوقود الفارغ، وأعقاب السجائر ، وعلبة الثقاب والحقيبة نفسها.

أسند القائد ظهره إلى مقعده، وشبك يديه تحت ذقنه وقال باهتمام:

– يبدو أن لديك ملاحظات مهمة يا « شريف »، قصها علينا.

قال « شريف » : ليس قبل أن تأتى نتيجة تحليل أعقاب السجائر والبصمات التى عليها ، فأنا أتوقع أن تحتوى على شيء ما.

– مثل ماذا؟

قال « شريف » بثقة: مخدر مثلاً.

فى هذه اللحظة أصدر الهاتف رنينًا، فرفع القائد السماعة قائلاً:

– من ؟ .... ماذا وجدت؟

ظهرت علامات الدهشة على وجه القائد ، ونظر إلى « شريف » متفحصًا، وهو يضع السماعة مكانها بهدوء شديد، وقال:

– رائع يا « شريف » صحيح ما توقعته أنت، السجائر بها مخدر.

اتسعت ابتسامة « شريف » وقال:

– كان هذا واضحًا من بداية الأحداث.

ظهرت علامات الإعجاب على وجه « صفوان » ، وامتلأ فخرًا بصديقه وقال:

– إذن أخبرنا كيف عرفت أو توقعت كل هذا يا « شريف »؟

– أولاً من الحقيبة نفسها، فهذا النوع من الحقائب مزود بجهاز خاص يحولها إلى وسيلة للنجاة تطفو بصاحبها لو تعرض للغرق، ذلك لأن التصاقها بالعميل بواسطة القيد يعوقه عن السباحة بيده فلو لم تصمم هكذا لكانت سببًا فى هلاكه، وقد لاحظت أن جهاز النجاة تالف بواسطة آلة حادة.

رد القائد قائلاً:

– هل تقصد أن أحدًا حاول قتله؟

– أعتقد ذلك، وقد ارتكزت محاولة القاتل على عدة محاور:

أولاً: تفريغ خزان الوقود من معظم ما به، فيتوقف القارب فى عرض البحر ، ولا يصل إلى هدفه.

ثانيًا : بقايا السيجارتين اللتين تم إشعالهما بعود ثقاب واحد، قاطعه « صفوان » قائلاً :

– اسمح لى يا « شريف » أن أضع استنتاجًا لهذه الملحوظة إن ذلك يعطى إحساسًا للوهلة الأولى بوجود مرافق مع الضحية.

قال « شريف » : أخطأت يا « صفوان » لو كان استنتاجك صحيحًا فأين هو طوال ١٦ ساعة؟ ولو أنه نجا فكيف لم يخبرهم بغرق زميله مع

العلم أنه يفترض أنه أكثر قدرة ، وحرية على السباحة من زميله لعدم تقييده بحقيبة؟

قال « صفوان » : ربما غرق هو الآخر، ألم يدخن سيجارة بها مخدر؟

– ربما . . ولكن عدم وجود أى بصمة على بقايا السيجارتين خلاف بصمة الضحية يكذب ذلك.

تدخل القائد قائلاً:

– وماذا يعنى وجود بقايا سيجارتين وعود ثقاب واحد؟

قال « شريف » :

– لو تصورنا الموقف، ووضعنا أنفسنا مكان الضحية وهو وحيد فى عرض البحر، وقاربه معطل، ويحمل حقيبة كهذه فإن المنطق يقول إنه أشعل سيجارة أولاً ، ثم قبل أن تنتهى أشعل الثانية من الأولى لذلك لم يستعمل سوى عود ثقاب واحد، وكان فى غاية التوتر والعصبية، وقد نتج عن ذلك أن سرى المخدر فى جسده بسرعة وأفقده توازنه، وسقط فى البحر.

أما الثالثة والتى ارتكزت عليها خطة القتل فهى الحقيبة نفسها بعد إتلاف جهاز النجاة بها، فأصبحت سببًا فى هلاكه لأنها أصبحت معوقة له عن السباحة، بل وساعدت على جذبه إلى الأعماق بسرعة.
قال القائد : ولماذا يفعلون ذلك بعميلهم ؟ هل ليتخلصوا منه؟

قال « شريف » : لا ، لم يحدث هذا بعلمهم ، ربما فعله شخص من بينهم قام بسرقة محتويات الحقيبة فعمل على عدم وصول الحقيبة الخاوية إلى الآخرين حتى لا يفتضح أمره أو تثار الشكوك حوله، فدبر ذلك وسقط الضحية فى ماء البحر وهو مخدر فغرق، والتهمته الأسماك ، ولم يبق منه إلا يده التى سقطت بثقل الحقيبة واشتبكت بالقيد وسط الشعاب المرجانية.

أضاف « صفوان » : ومن قدرى أن تلتصق السلسلة بشصى التى تبعتها أسماك القرش لتلتهم ما تبقى من الضحية بعد ماحرمتها الشعاب المرجانية من وجبتها الدسمة.

قال القائد : إنهم مجرمون قساة القلوب لا يعرفون الرحمة.

قال « صفوان » : ولكن من هؤلاء؟ وماذا يهربون؟ وما مصلحة ذلك الشخص الموجود بينهم ويعمل على إفساد خططهم؟

قال « شريف » : هذه كلها أسئلة تحتاج إلى إجابات، لكننا نستطيع الإجابة عن بعضها.

– وماذا استنتجت يا صديقى الآن؟

أسند « شريف » ظهره إلى الأريكة، وقال :

– إن هذا النوع من الحقائب غالبًا ما يخصص لحمل أوراق بالغة السرية، ويوجد لها أصول عند مرسلها، فلا يضيره ضياعها ، بل إن

المستقبل يقوم بالتخلص من هذه الأوراق بمجرد الاطلاع عليها.

إذن فكل ما فى الأمر أن المرسل يحرص على عدم اطلاع أحد على أسراره تلك، فيرسلها فى سرية تامة بهذه الطريقة، وفى تصورى أن المعركة الدائرة فى الخفاء كانت حفظ سر عن أناس مع إبلاغه للآخرين.

قال «صفوان»:

– لقد ظننت للوهلة الأولى أن الحقيبة تحتوى على ماس، أو ذهب أو عملات أجنبية أو أشياء ثمينة.

– وهل هناك ما هو أثمن من سر يتعلق بنشاطهم أو حياتهم نفسها وإنى أعتقد بوجود من يهمه معرفة تلك الأسرار عنهم وقد نفذ هذه العملية.

تدخل القائد قائلاً:

– ولكى نصل إلى هؤلاء، لابد أولاً من الكشف عن شخصية هذا العميل من خلال يده التى عثرنا عليها، لأن ذلك هو الخيط الوحيد الذى سيقودنا إلى تلك الجماعة، وبالتالى الوصول إلى نشاطهم الذى يحيطونه بالكتمان.

– معك كل الحق أيها القائد ولا جدال فى أن نشاطهم هذا نشاط إجرامى، وإلا ما أحاطوه بكل هذه السرية، فالمرء لا يخفى إلا ما يخجل منه، أو يخاف معرفة الناس إياه.

استدعى القائد كبار معاونيه ليناقشهم فى خطة البحث، فى

حضور « شريف » و« صفوان » فقال أحد معاونيه :

– إن بداية الخيط تكمن فى إرسال ببصمات القتيل إلى مصلحة الأدلة الجنائية لمضاهاتها ببصمات المهربين المعروفين لديهم .

قال « شريف » : أعتقد أن ذلك لا يجب وضعه فى المرتبة الأولى، فغالبًا ما يكون هذا الشخص غير ذى أهمية كبيرة، كما يضعون فى اعتبارهم احتمال وفاته أو قتله أو القبض عليه، فيختارون من ليس لهم باع كبير فى التهريب، أو يكون حدثًا مغررًا به، ويمكن التضحية به عند اللزوم .

– إذًا ماذا تقترح أنت ؟

– أقترح تنفيذ ما أشرت به سيادتكم ، ولكن لا يكون اعتمادنا الأساسى عليه فسوف تكون نتائجه غير سريعة، وغير مؤكدة، ويجب أن يضاف إليه اتجاهان آخران : محاولة معرفة مصدر الخاتم الذهبى، أو جهة صنعه فذلك سوف يحصر البحث إما فى شمال البلاد، أو صعيدها فيوفر علينا نصف الجهد .

علت وجه القائد ابتسامة سرور وإعجاب ب« شريف »، وقال :

– وما هو الاتجاه الآخر يا« شريف »؟

– البحث وراء ذلك الرقم الذى عثرنا عليه فى غطاء علبة الثقاب ، والذى قد يكون رقم تليفون أو رقم سيارة أو رقم حساب فى أحد البنوك .

أنهى القائد الاجتماع قائلاً :

– إذن علينا البحث فى هذه الاتجاهات فورًا مع التحفظ على القارب المطاطى .

وقبل أن ينصرف الجميع سأل « صفوان » سؤالاً أثار ضحك الحاضرين، حيث قال فى جدية :

– هل توجد فى منطقة معسكرنا غوريلات؟

أجاب القائد مبتسمًا :

– بالطبع لا .

– إذن ماالذى رأيته الليلة؟

– وماذا رأيت؟

– سمعت صراخًا قادمًا من فوق الجبال، ورأيت غوريلا ضخمة تهرول فى الظلام، كما أن معسكرنا قد تم بعثرة محتوياته بواسطة إحداها، ومازالت آثار أقدامها على الرمال .

قال القائد فى اهتمام :

– سوف أصدر أوامرى لرجال دورية حرس الحدود ببحث الأمر ولكن علينا تكثيف جهودنا كلها لحل قضية العميل وحقيبته .

بادر « صفوان » قائلاً :

– وما أدراك أن هذا الأمر ليس له علاقة بما تبحثون عنه؟

أثارت تلك الملاحظة انتباه « شريف » وقال معجبًا بصديقه :

– رائع يا « صفوان » وماهى ملاحظتك فى ذلك الأمر؟ وكيف توصلت إليه؟

– بالشم يا صديقى .

تعجب الضابط، وقال :

– بالشم!! وكيف هذا؟

قال « صفوان » :

– هل سمعتم عن غوريلا تضع عطرًا، أو تستحم بالماء والصابون؟

ضحك الحاضرون ، وأنكروا ذلك .

قال « صفوان » وعلامات الجد لم تفارق وجهه :

– لقد لاحظت عند عودتنا من البحر أنه توجد رائحة كريم حلاقة تملأ الخيمة، بينما أنا و« شريف » لا نستعمله، وكان من الطبيعى أن تترك الغوريلا رائحة نعرفها جميعًا ونشمها فى حدائق الحيوان، كما أن محتويات خيمتنا لم ينقص منها شىء إلا صندوق الصابون وزجاجتى العطر اللتين أحضرناهما لاستعمالهما أثناء رحلتنا .

قال القائد :

– إذن فالأمر قد ظهر الآن، لقد كانت تلك محاولة لإخافتكما،

ومحاولة إبعادكما عن المكان ليتسنى لهم البحث عن عميلهم المفقود بعيداً عن الأنظار.

قال «شريف»:

– أعتقد هذا، كما أن ملاحظة «صفوان» تقودنا إلى التفكير فى شىء آخر مهم.

قال القائد:

– وما هو؟

– هل كان وجود هؤلاء فى تلك المنطقة مرتبط بمهمة ذلك العميل فقط، أى إرساله والاطمئنان على وصول الحقيبة إلى آخره، أو البحث عنه وتفجير الحقيبة فى حالة عدم الوصول إليه أم لهم قاعدة دائمة هناك وسط الجبال يتحركون منها؟

قال «صفوان»:

– إننى أرجح وجود قاعدة دائمة لهم هناك، أو مخزن دائم، فالذى يأتى فى مهمة محدودة لا يحتاج إلى كل هذا الصابون ولا يهتم حتى بوجوده.

نظر القائد إلى أحد الضباط، وقال:

– أرجو إرسال مجموعة غداً لفحص الجبال فى تلك المنطقة جيداً.

قال الضابط:

– ولكن تلك المناطق لا تتبعنا يا سيدى وتقع فى محيط عمل قوات أخرى.

رد عليه القائد آمرًا:

– لكن رجالنا هم أمهر الرجال فى هذه المهام، وسوف أجرى اتصالاً مع قادة الوحدات لتسهيل عملكم، وعدم إعاقة تحرككم، وإمدادكم بمجموعة من مقتفى الأثر، ولتكونوا فى منتهى الحذر، فتلك المناطق وعرة وخطرة ومليئة بالدروب والكهوف ، وصور شتى من الحيوانات والزواحف التى لا شفاء من سمها حتى الآن، ولا تتوغلوا فيها كثيرًا.

قال « شريف »:

– إذن على بركة الله.

قال القائد :

– إلى أين أنت ذاهب يا « شريف »؟

– سوف نجمع شتات معسكرنا .

قاطعه القائد، قائلاً:

– هل نفسد لكما رحلتكما ولا نعوضكما عن ذلك ؟ هذا لن يكون أبدًا، فأنتما ضيوفنا فى استراحة الضباط المجهزة على الشاطئ، وسوف تقضيان معنا باقى إجازتكما فى هدوء.

قال « صفوان » :

– سيدى القائد نشكرك على هذا العرض الجميل، لكننا لم نحضر من العاصمة لنقيم فى مساكن من الطوب والأسمنت، إنما جئنا فى رحلة لنمارس فيها حياتنا بصورة طبيعية بين أحضان الطبيعة بعيداً عن تعقيدات المدينة.

أجاب القائد مبتسمًا :

– لا ضير يا « صفوان » سوف أختار لكما مكانًا جميلاً تقيمان فيه معسكركما، وأمر القائد بإعداد مكان يبيت فيه الصديقان حتى صباح اليوم التالى، فذهبا إلى ذلك المكان وصليا فيه الفجر وراحا فى نوم عميق بعد أن قضيا ليلة عصيبة.

* * *

٣ - الخطوة الأولى

استيقظ « شريف » و« صفوان » عند الظهيرة فوجدا المكان يعج بالحركة فقال « شريف » :

– هكذا الحياة العسكرية تتميز بالنشاط والحيوية واليقظة الدائمة، حماكم الله ياحراس بلادنا.

بينما « صفوان » يرتب فراشه ، وهو ينظر إلى صديقه قائلاً :

– ماهى خطتك اليوم يا صديقى؟ هل ستذهب إلى الشاطئ أم.

– أعتقد أن أول شيء يجب أن نفعله هو إلقاء التحية على القائد.

– ولكنى أخاف من حدوث المزيد من المشاكل، ونقضى عطلتنا هكذا بين البحث والمغامرة.

– وماذا فى ذلك يا صديقى؟ إن المغامرة شيء شائق وجميل.

نظر إليه « صفوان » وقال :

– لولا محبتى لك يا صديقى ما تبعتك فى هذه المغامرات.

وما لبث أن توجه الصديقان إلى مكتب القائد ، فوجداه جالسًا إلى مكتبه، وقد ظهر عليه التعب، وتورمت عيناه من طول السهر إلا

أنه يعمل بنشاط، فقابلهما قائلاً:

– مرحبًا بكما، أرجو أن تكونا قد قضيتما معنا ليلة سعيدة.

أجاب «صفوان»:

– نعم ياسيدى، وقد جئنا لتقديم الشكر وإلقاء التحية قبل انصرافنا.

ابتسم «شريف» وقال:

وكذلك لنعلم هل توصلتم لشيء أم لا؟

وكزه «صفوان» فى قدمه قائلاً:

إن «شريفًا» يقصد أن يقول هل عثرتم على مكان جيد لإقامة معسكرنا أم لا؟ فهم القائد ما يدور بخلد كل منهما، فقال:

بالنسبة إلى مكان المعسكر فهو جاهز من الآن يا سيد «صفوان»، أما فيما يخصك يا سيد «شريف» فيوجد خبر سار لك.

خجل «صفوان» من نفسه وقال:

– هل هناك ما يتعلق بقتيل البحر الذى عثرنا على يده ليلة أمس؟

ابتسم القائد بعد أن تأكد أن «صفوان» أصبح يشاركهم اهتمامهم بالقضية، وقال لهما:

– نعم فقد عثرنا على رقم الحساب فى عدة بنوك، وتحت أسماء مختلفة بالطبع، وسوف نصل بإذن الله إلى شخصية القتيل عن طريق مطابقة بصماته مع بصمات أصحاب تلك الحسابات، وأنا الآن فى انتظار مكالمة فى هذا الأمر.

وما لبث أن صدر رنين متصل من الهاتف، فقام القائد برفع السماعة، وهو يتلهف لسماع أخبار تتعلق بتلك القضية ثم أمسك قلمًا وأخذ يكتب فى ورقة أمامه، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ثقة.

خاطبه « شريف » قائلاً:

– لا بد أن خلف تلك الابتسامة أنباء طيبة.

– نعم يا سيد « شريف » فقد تم التعرف على شخصية القتيل.

– ومن هو ياسيدى؟

نظر القائد فى الورقة التى أمامه وقال:

– إنه رجل يدعى « قدرى الفوال » وقد وُضع له بالأمس مبلغ كبير فى هذا الحساب الذى لم يفتح باسمه إلا بالأمس فقط، وهو يعمل أمين مخزن فى إحدى الشركات الكبرى التى تعمل فى تجارة السيارات.

– أى شركة ياسيدى؟

– إنها شركة سيارات أبو الدهب.

قال « شريف » :

– أعتقد أننى سمعت هذا الاسم من قبل، صاحب تلك الشركة هو السيد « عصمت أبو الدهب » رجل الأعمال المشهور؟

– نعم يا « شريف » وهو رجل ذو حصانة.

– إذن لابد من معرفة مدى العلاقة بين مقتل « قدرى الفوال » وصاحب تلك الشركة، وهل هو صاحب الحقيبة أم لا؟ ولا بد أن يتم ذلك فى سرية تامة، فهذا الرجل ذو نفوذ كبير.

قال القائد :

– هذا حق يا « شريف »، فالقضية حرجة للغاية وسوف أعرض الأمر على رؤسائى لنرى مايمكن عمله.

– أعتقد أنه من الصواب وضع جميع خطوط الاتصال الخاصة بهذا الرجل وشركته ومعاونيه تحت المراقبة.

– هذا بالضبط ما سأطلبه يا « شريف ».

– والآن ندعك لتستريح بعد الإرهاق المتصل ياسيدى.

انصرف الصديقان من مكتب القائد فى نزهة على الشاطئ.

استغل « صفوان » الفرصة ليتحدث مع صديقه فقال له :

– أعتقد أنه من المؤكد الآن يا سيد « شريف » أن رحلتنا قد

انتهت ، وأننا على وشك الدخول فى معركة جديدة .

أجاب « شريف » :

– هذا مؤكد .

وبينما هما على البحر إذا بأحد الجنود يأتى إليهما مهرولاً ،ويقول :

– القائد يطلبكما بسرعة فى أمر مهم .

هب الصديقان على الفور، وتوجَّها إلى مكتب القائد، وألقيا عليه السلام، وجلسا .

بدأ القائد حديثه قائلاً :

– لقد حصلت على موافقة الجهات المسئولة بمراقبة خطوط الهاتف لشركة أبو الدهب، ومنزله ومعاونيه المقربين، وقد بدأت المراقبة منذ عدة ساعات .

صاح « شريف » :

– إنها خطوة ممتازة على طريق الكشف عن هذه الجماعة .

قال القائد :

– إن جميع استنتاجاتك جاءت صحيحة يا « شريف » حتى هذه اللحظة، وقد راجعت ملف خدمتك معنا أيام تجنيدك فتأكد ظنى بك

من حيث حسن السيرة والسلوك، ودقة الملاحظة، لذلك حصلت لك على موافقة القائد على الاستعانة بك وبزميلك فى هذه المهمة.

– أحسنت يا سيدى أن ضممت إلىَّ «صفوان» فأنا لا أستطيع العمل من دونه.

– لقد لاحظت ذلك، فالمرء على دين خليله، والطيور على أشكالها تقع.

– ونحن طوع أمرك يا سيدى القائد، ومن الآن.

– الآن نبدأ العمل، وأول شيء نفعله هو البحث عن إجابة لهذا السؤال وهو معرفة النشاط السرى لتلك الجماعة.

قال «شريف» بحماس:

دعنى أجيب عن هذا السؤال يا سيدى بعد الاطلاع على ما تم تسجيله من مكالمات هاتفية خلال الساعات الماضية، ربما وجدنا فيها بداية الخيط.

– على بركة الله.

ظل «شريف» و«صفوان» يدرسان مئات المكالمات الهاتفية التى تمت طوال اليوم بين الشركة وعملائها، حتى عثر «صفوان» على حديث أثار انتباهه، فقال:

اسمع يا « شريف » إن هذه المحادثة تثير الريبة.

– وماذا فيها يا « صفوان »؟

– إن المتحدث يقول لقد أعددت لك مستندات خطيرة جدًّا فرد عليه الآخر بقوله:

– إذًا موعدنا غدًا ولك مكافأة سخية.

– ما وقت هذه المكالمة يا « صفوان »؟ ومن المتحدث؟

– لقد تمت بعد ظهر اليوم فى منزل « رشدى » مدير مكتب « عصمت أبو الدهب ».

– هذا رائع، إذن علينا أن نقوم الليلة بمهمة صعبة وعليك أنت الدور الرئيسى يا « صفوان ».

– أنا مستعد يا « شريف »، ولكن ما هى تلك المهمة؟

– إنها زيارة قصيرة لمنزل « رشدى » هذا، ودون دعوته بالطبع.

– ولماذا « رشدى » بالذات؟

– لأنه هو المتحدث فى هذه المكالمة، ولقربه أيضًا من « عصمت أبو الدهب »، وأظن أنه سارق محتويات الحقيبة وأنه سوف يقوم بتسليم محتوياتها اليوم لمن يعمل لحسابه من خلف زعيمه الأصلى ، وعندى خطة سوف أقوم بعرضها على القائد.

وفى المكتب صاح القائد مندهشًا:

– هل تزمع تفتيش منزل مدير مكتب «أبو الدهب»؟

– نعم يا سيدى.

– ولكن هذا غير قانونى، وخطير فى نفس الوقت.

– إن مكالمته فيها الكثير من الغموض، ثم إن ما يفعلونه يمس سلامة الوطن وأمنه، وأمن أبنائه، وذلك أمر يتضاءل بجانبه أى التزام بإجراءات سليمة لكنها بطيئة تجعل الصيد يفلت منها.

قال «صفوان» مؤيدًا زميله:

– تتحدث عن قانونية ضبط اللصوص، وهل ما يفعلونه هم قانونى؟ إنه معركة مع مجرمين استحلوا دماءنا وثروات بلادنا ياسيدى، إن العدل البطىء ظلم بين، فلا بد من استخدام وسائلنا كافة لمنع هؤلاء المجرمين من تدمير بلادنا.

قال القائد:

مهما كانت وجهة نظركما، فأنا ملتزم بالتعليمات ولا أستطيع الموافقة على ذلك، فمن يدرى أنكما لن تسقطا فى أيديهم، ولا يوجد لدينا أى دليل ضدهم حتى الآن.

قال «شريف» فى حماس:

– سيدى القائد سوف نأتيك بالدليل الذى يدينهم، وسنقوم بهذه المهمة على مسئوليتنا الخاصة، فقط نريد معاونتك فى أمر واحد.

– وما هو؟

– أن تزودنا بخبير فى فحص المستندات والخطوط.

– وما أهمية ذلك؟

– عند عثورى على الأوراق– بإذن الله– سوف أضع مكانها ورقة أخرى تزرع الشك بين «رشدى» وزعيمهم الذى لا نعرفه.

– إنك تتحدث بكل ثقة وكأنك عثرت على ما تريد.

– سوف نتمكن أنا و«صفوان» من ذلك بإذن الله، وأرجو إعطائى عنوان سكن «رشدى».

– هذا لك يا «شريف».

استقل الصديقان إحدى السيارات إلى المطار، وغادرا المنطقة متجهين إلى العاصمة، وبعد ساعة وصلت الطائرة إلى هدفها، واتجه الصديقان على الفور إلى منزل «رشدى».

– هل أعددت العدة لكل الاحتمالات يا «صفوان»؟

نعم فمنزل «رشدى» كما هو معلوم لك عبارة عن ڤيلا محاطة بحديقة والحديقة محاطة بحراسة شديدة مكونة من كلاب شرسة، أو

حراس أقوياء، أو نظام ألكترونى ولكل منهم طرق اختراقه .

– إن عملك السابق مع « البدراوى » قد أفادك كثيرًا يا« صفوان » ، ونحمد الله أنك تسخر خبرتك فى الخير، ومقاومة خطط الأشرار.

– الحمد لله أن وفقنى لذلك.

أخذ الصديقان خبير المستندات واتجها إلى ڤيلا « رشدى » بعد منتصف الليل، وما إن وصلا إليها حتى تركا السيارة وبها خبير المستندات ، وتوجها بحذر إلى الڤيلا وبعد أن تأكدا أن تلك الڤيلا هى المقصودة، ودارا حولها عدة مرات للتعرف على نظام الأمن بها وقد ترامت إلى مسامعهم أصوات نباح كلاب؛ فارتسمت علامات الجد على وجه « صفوان » وقال :

– إذن هو يستعين بكلاب الحراسة.

وبعد ذلك أخرج من جيبه صفارة صغيرة وأخذ ينفخ فيها ولكن لم يصدر منها أى صوت ، فسأله « شريف » :

– هل الصفارة معطلة يا « صفوان »؟

– بل إنها تعمل على أكمل وجه يا صديقى، فهى تطلق موجات قصيرة تلتقطها آذان الكلاب فقط .

وعلى الفور تجمعت كلاب « الدوبرمان » الخطيرة عند السور، وما إن رآها « صفوان » حتى ألقى إليها بقطع من اللحم قامت بالتهامها

على الفور فقال « صفوان » بصوت هادئ، وكأنه يتحدث مع الكلاب :

– لقد أحضرتها خصيصًا لكم .

نظر « شريف » إلى صديقه وكأنه يتعجل النتيجة قائلاً :

وماذا بعد يا « صفوان » ؟

لا شيء يا صديقى، سوف تذهب فى نوم عميق بعد دقائق ولعدة ساعات نكون خلالها قد أنجزنا مهمتنا .

وبعد دقائق هدأت حركة الكلاب الشرسة، وتمددت على الأرض،وراحت فى سبات عميق، فقفز الصديقان داخل الحديقة المحيطة بالڤيلا بمنتهى الحذر ، وسارا حتى وصلا إلى الواجهة الخلفية لها، وألقى « صفوان » خطافه الذى تعلق بسور السطح ، وبدأ يتسلق المبنى حاملاً على ظهره حقيبة صغيرة، وتبعه « شريف » حتى وصلا أعلى الڤيلا وقد بقى عليهم أن يعرفوا مكان إخفاء الأوراق الخطيرة .

رأى « صفوان » ضوءًا ينبعث من إحدى نوافذ الڤيلا فتعلق على الجدار بواسطة الحبل، ونظر إلى داخل الحجرة فوجد رجلاً يجلس إلى مكتبه، وبجانبه خزينة مفتوحة وبها بعض الأوراق، دقق « صفوان » النظر فى الخزينة فوجد فوق الأوراق مظروفًا كبيرًا ، وما لبث أن قام الرجل ووضع أشياء أخرى بالخزينة، وأغلقها وانصرف من حجرة المكتب بعد أن وضع المفاتيح فى جيب سترته .

صعد «صفوان» إلى السطح مرة أخرى، وهمس فى أذن «شريف» قائلاً:

لقد عثرت على مكان إخفاء الأوراق يا «شريف» إنها خزينة فى حجرة المكتب، ولكن المشكلة الآن هى كيف نعمل بهدوء؟خاصة أننا نريد معالجة الخزينة برفق، وإعادة الأوراق مكانها مرة أخرى.

سأل «شريف»:

– هل هو بمفرده؟

– أعتقد ذلك.

– ما رأيك فى استعمال الغاز المنوم عبر جهاز التكييف الخاص بغرفة النوم.

– فكرة جيدة يا «شريف».

– إذن سنعمل عندما يطفئ أنوار حجرة النوم.

نعم وهذا سيمكننا من الحصول على مفاتيح الخزينة كذلك.

أطفأ الرجل أنوار حجرة النوم، وأوى إلى فراشه، فأخرج «صفوان» علبة رش صغيرة من حقيبته، وتدلى على الجدار، وأخذ ينفث الغاز من خلال جهاز التكييف، وبعد فترة طرق بإصبعه على الزجاج فلم يتحرك الرجل فتأكد «صفوان» أنه أصبح مخدرًا؛ ففتح النافذة ،

وانتظر لحظة حتى تجدد هواء الغرفة ثم دخل الغرفة، وخلفه « شريف » .

وبعد الحصول على المفتاح الخاص بالخزينة توجها إلى حجرة المكتب وظل « صفوان » يعمل بواسطة جهاز خاص معه حتى حصل على الأرقام السرية، وأدار المفتاح ففتحت الخزينة .

أخذ « شريف » يتفحص الأوراق داخل الخزينة حتى وجد مظروفًا مغلقًا بطريقة خاصة يعلمها جيدًا، فأمسك بالمظروف بواسطة منديله، ثم وضعه فى حقيبة « صفوان » قائلاً :

الآن جاء دور خبير المستندات .

توجه الصديقان عبر الحديقة إلى سيارتهما فوجدا خبير المستندات فى انتظارهما، فسلماه المظروف المغلق؛ فراح يعمل بحذر ويعالج المظروف حتى فتحه، وأخرج الأوراق من داخله .

نظر « شريف » إلى الخبير قائلاً :

نريد وضع أوراق بيضاء بنفس وزن تلك الأوراق، ونكتب أعلاها :

–تخلصوا من حامل هذه الأوراق، أما الباقون فأنا كفيل بهم والتوقيع بنفس التوقيع على الأوراق الأصلية، وإغلاقه كما كان . سأله « صفوان » :

– من صاحب التوقيع؟

– إنه « عصمت أبو الدهب » .

– إذن كما توقعت تمامًا.

أعاد الصديقان المظروف إلى مكانه بعد أن أبدلا ما بداخله، وأغلقا الخزينة وأعادا المفاتيح إلى مكانها، وغادرا القيلا متجهين مرة أخرى إلى القيادة وبمجرد وصول الصديقين تشكلت على الفور لجنة قامت بفحص الأوراق، وأثناء ذلك جلس «شريف» و«صفوان» مع القائد وأخذا يتحدثان فقال القائد:

إذن حسب قولك هم تجار سلاح.

أهنئكما على هذه النتيجة الباهرة.

قال «شريف»:

بل كانت هذه هى الخطوة الأولى أما باقى الخطوات فسوف نستكملها غدًا بإذن الله.

* * *

٤ - الخدعة الكبرى

استيقظ «رشدى» من نومه واتجه إلى مقر عمله وهو لا يعلم أنه أصبح تحت مراقبة شديدة من أجهزة الأمن، وبعد عدة ساعات غادر مكتبه واستقل سيارة أجرة وسار فى طريقه لمقابلة مندوب إحدى عصابات تجارة الأسلحة المنافسين لرئيسه عصمت «أبو الدهب» وقد حمل فى يده حقيبة مستندات كبيرة.

جلس «رشدى» فى ركن هادئ يتناول قدحًا من القهوة، فى أحد المحال الفخمة، وهو ينظر إلى ساعته على فترات متقاربة، وبمجرد وصول عميله هب فى استقباله مرحبًا:

– مرحبًا بك يا عزيزى.

– أين الأوراق المهمة التى حدثتنى عنها؟

– ها هى فى الحقيبة، ولكن أين ما اتفقنا عليه؟

– بعد فحص الأوراق والتأكد من احتوائها على معلومات تهمنا.

– لا تخش شيئًا يا سيدى لقد أرسل أبو الدهب هذا المظروف مع «الفوال» وقد حصلت لكم عليه بصعوبة شديدة من الحقيبة السرية التى لا نرسل فيها إلا الأوراق الشديدة الخطورة.

– لا بد من التأكد.

قام الرجل بفتح المظروف وكانت مفاجأة له عندما وجد أوراقًا بيضاء، وخطابًا للتخلص من العميل، وهنا بهت «رشدى» وصاح فى ذهول:

– أوراق بيضاء وخطاب بقتل قدرى الفوال ووعد بالتخلص من آخرين، ما هذا؟

– هل ضاعت كل خططى للتخلص من «الفوال» والحصول على الأوراق هباءً؟

أضاف العميل:

– لو صبرت لقُتل «قدرى الفوال» غريمك بيد غيرك.

– بل لو تركته لافتضح أمر اختفاء الأوراق من الحقيبة.

– أى أوراق؟ إنها أوراق بيضاء لا قيمة لها.

– كان المفروض أن تكون أوراقًا مهمة.

– إنه يتلاعب بكم، إن «عصمت أبو الدهب» ثعبان لا أمان له، وداعًا يا صديقى.

تعلق «رشدى» بالرجل وهو يقول:

– هل ستتركنى تحت رحمته وأنا الذى عملت معكم بإخلاص، وقد أكون ممن اكتشف أمرهم، ويخطط للتخلص منهم؟

– هذه مشكلتك أنت وعليك حلها، أما نحن فلا وقت عندنا.

انصرف الرجل وترك «رشدى» وهو ينظر إلى الأوراق فى ذهول، بينما «شريف» و«صفوان» يشاهدان الموقف من بعيد، وقد لاحظا تعبيرات وجه «رشدى» فابتسم «شريف» وقال لصديقه:

– إنه الوقت المناسب لتنفيذ الخطوة التالية.

عاد «رشدى» إلى مكتبه مرة أخرى وبمجرد وصوله كان «شريف» فى أثره وعندما دخل عليه حاول «رشدى» إخفاء ارتباكه، ورحب به قائلاً:

– مرحبًا، هل من خدمة أؤديها إليك؟

– لقد جئت لك فى أمر مهم.

– شركتنا المتواضعة فى خدمتك يا سيدى، هل تريد..

قاطعه «شريف» قائلاً:

– أريدك أنت فى أمر شخصى يتعلق بمقتل «قدرى الفوال». وهنا تغير وجه «رشدى» وبدا عليه الارتباك، وقال متلعثمًا:

– ماذا تقول يا سيدى؟

وفى هذه اللحظة دق جرس الاستدعاء لمكتب «عصمت أبو الدهب» فاستأذن «رشدى» قائلاً:

لحظة من فضلك يا سيدى سأدخل إلى السيد «عصمت أبو

الدهب » لدقائق ثم أعود.

– سوف أجرى محادثة هاتفية حتى تعود.

– الهاتف طوع أمرك يا سيدى.

جلس « شريف » إلى مكتب « رشدى » لإجراء مكالمة هاتفية وهنا دخل رجل ضخم الجثة ذو ملامح آسيوية إلى مكتب « رشدى »، وتحدث إلى « شريف » ظنًّا منه أنه مدير المكتب:

– هل أنت « رشدى »؟ أرجو السماح لى بمقابلة السيد « أبو الدهب » حالاً.

أراد « شريف » توضيح الأمر له فقال:

– لحظة من فضلك.. إنه..

وقبل أن يكمل حديثه قال له:

– أرجوك ليس عندى وقت، أخبره أنى أحمل رسالة مهمة من رئيس الشركة الدولية وهو يعلم بقدومى.

تذكر « شريف » أنه رأى هذه الأحرف على بعض المستندات التى كانت بالمظروف، كما أنه تم تحويل مبالغ كبيرة لحسابها السرى، وهنا تصرف « شريف » بذكاء وقال له:

لقد خرج حالاً إلى نادى السيارات.. تعال معى لنقابله هناك.

ترك « شريف » رسالة ل« رشدى » قال فيها :

لنا لقاء آخر، ثم اصطحب المندوب إلى مبنى المخابرات وطلب مقابلة القائد وقال له :

– عندى لك صيد سمين مندوب الشركة التى تورد الأسلحة خفية لأبى الدهب، ربما أفادنا .

– وماذا سنفعل به يا « شريف »؟

– ربما نحصل على معلومات مهمة كان يود تسليمها لأبى الدهب .

– وماذا لو انتظره « عصمت أبو الدهب » ، ولم يحضر إليه .

– ومن قال إنه لن يقابله؟

– كيف يقابله وهو محتجز عندنا؟

– سيحل محله « صفوان » فلهما نفس الملامح الآسيوية، ومن الواضح أن هذا المندوب قد حضر لأول مرة؛ فلم يكن يعرف « رشدى » مدير المكتب، وعلى ذلك فمن المؤكد أن « أبو الدهب » لا يعرفه أيضًا .

– إذن لابد من استجواب هذا المندوب حالاً، ربما يحمل كلمة سر أو وسيلة تعارف .

وأدلى المندوب بكل ما عنده بعد ما تبين له أنه لا سبيل أمامه غير ذلك، وبعد ساعة كان « صفوان » يرتدى ملابس المندوب ويحمل

رسالة شفهية مهمة ويدق باب « رشدى » ليسمح له بمقابلة « عصمت أبو الدهب » وينفذ الخطوة التالية من الخطة التى وضعها « شريف » .

دخل « صفوان » مكتب « أبو الدهب » وبمجرد جلوسه أخرج « عصمت أبو الدهب » من جيبه كارتًا ووضعه أمامه ففهم « صفوان » ما يعنى ؛ فأخرج هو الآخر كارتًا يشبهه ووضعه أمامه، وهنا اطمأن إليه أبو الدهب وقال له :

– مرحبًا بك، ماذا وراءك؟

– رسالة مهمة من اللورد؟

– إن الأوراق والتحويلات لم تصلنا إلى الآن .

– حدث أمر عارض وغرق المندوب فى البحر ، وسوف أوافيك بالأخبار .

– ولكن هناك أمر آخر مهم جدًّا .

– وما هو؟

– إن اللورد يحذرك من وجود خونة ضمن رجالك المقربين، وربما كانوا وراء مقتل عميلك « قدرى الفوال » .

انتفض « أبو الدهب » واقفًا، وقال :

– تقول مقتله؟

نعم لقد علمنا من مصادرنا السرية وجود علاقة بين «رشدى» وأحد أعدائك هنا ممن يهمهم تحطيمك ليخلو لهم السوق، وربما..

لن أزيد .. فقط خذ حذرك.

هل أنتم متأكدون لهذا الحد؟

إننا لا نترك شيئًا للصدفة.

استدعى «أبو الدهب» مدير مكتبه «رشدى»؟ وقال له:

– أرجوك يا «رشدى» اذهب حالاً إلى البنك، واحضر ما أمرتك به.

– فورًا ياسيدى.

وبمجرد خروج «رشدى» توجه «عصمت أبو الدهب» إلى مكتب «رشدى» وقام بتفتيشه؛ فإذا به يجد الأوراق التى كان قد وضعها بنفسه فى حقيبة «قدرى الفوال»، وأبلغه «رشدى» أنه تم تدمير الحقيبة والأوراق بعد غرق «قدرى الفوال».

تأكد «أبو الدهب» من خيانة «رشدى» له، وتمتم قائلاً:

– سيكون لى معك حساب أيها الخائن.

ثم وجه حديثه إلى «صفوان» قائلاً:

– غدًا سأعد لك ما تريد، وشكرًا لمعاونتكم لى، وأبلغ تحياتى للورد، وتمنياتى له بإقامة سعيدة على شواطئنا.

– هل أخبرك بمكان إقامته؟

– ليس بالضبط فهو يحيط كل تحركاته بسرية تامة كما تعلم، وعندما هم «صفوان» بالانصراف بادره «أبو الدهب» قائلاً:

– لحظة من فضلك، هل أنتم متأكدون أن خيانته لم تصل لأبعد من ذلك، أقصد العمل لحسابه من وراء ظهرى؟

– هذا ما بدا لنا حتى الآن. على كل حال خذ حذرك فمن يخون أهله ووطنه لا أمان له.

اصطدمت الكلمة بأبى «الدهب» كأنها قذيفة فجلس منهارًا على كرسيه.

أطلق «صفوان» ضحكة وهو يروى «لشريف» ذلك المشهد، و«شريف» يتابع حديث صديقه واجمًا، ثم قال:

– ولكن متى وضعت الأوراق فى مكتب «رشدى»؟

– بينما «أبو الدهب» مشغول بتفتيش الدولاب دسست الأوراق فى الدرج الأخير لمكتب «رشدى» ولم يلاحظنى.

– إذن لقد نجحنا فى زرع الشك بينهما، وأعتقد أن «أبو الدهب» سوف يتحرك بسرعة كرد فعل طبيعى لما سمع، وهنا سوف يخطئ بالتأكيد، وربما أمكننا معرفة الأماكن السرية التى يخزن فيها أسلحته، وعلى كل حال حان وقت اللعب مع «رشدى».

أدار « شريف » قرص الهاتف طالبًا رقم ڤيلا « رشدى »؛ فرد عليه:

– هل السيد « رشدى » موجود؟

– نعم، أنا هو.

– أردت فقط التأكد من وجودك لنكمل حديثنا.

– من أنت؟

– ضيفك الذى زارك فى مكتبك اليوم، وتكلمنا بخصوص « قدرى الفوال ».

– آه.. لماذا انصرفت يارجل؟

– وجدت المكان غير مناسب لمناقشة هذه الأمور.

– ما رأيك أن تزورنى فى منزلى ونتحدث.

– سأكون عندك بعد ساعة، أى فى الثامنة مساءً.

وفى الموعد كان « شريف » يجلس مع « رشدى » فى منزله يتحدثان، قال « رشدى »:

– الآن وقد أصبحنا بمفردنا ماذا تريد؟

– أريد أن نتعاون معًا.

– استمع إلىَّ جيداً يا سيد « رشدى ».. المعلومات التى لدينا

تؤكد أنك وراء مقتل «قدرى الفوال»، وهذه وحدها جريمة عقوبتها الإعدام ناهيك عن ممارستك لتجارة غير مشروعة أنت تعلمها جيدًا، وكل ذلك عندنا بالدليل والشهود.

– ومن أنتم؟

– ليس الآن حتى أكمل حديثى معك.

– أكمل.

– كما أن معلوماتنا تؤكد أيضًا انقلاب زعيمك عليك. هل تعلمونه؟

– بالطبع نعلمه، وهو كما تعلم رجل ذو نفوذ ولا يتورع عن فعل أى شىء خاصة لو علم بخيانتك الأخيرة.

تذكر «رشدى» ما قرأه فى المظروف عن نية «أبو الدهب» فى التخلص من بعض رجاله، بينما تابع «شريف» حديثه قائلاً:

– لماذا أنت شارد الذهن، هذه نهاية طبيعية لمن يسير فى هذا الطريق؟ والآن هل أكمل ما لدينا أم لا؟

– لا تكمل، فهذا يكفى، والآن ماذا تريد منى؟

– لقد كنت أقرب رجال «أبو الدهب» إليه، ولا شك أن عندك الكثير من الأسرار عن نشاطه وعملياته غير القانونية، وكل ما عليك

هو أن تخبرنا عن المستندات التى تدين الرجل الأخطبوط، وأعدك أن نعتبرك شاهداً فى القضية؟

صمت « رشدى » ولم يرد، فتابع « شريف » حديثه قائلاً :

– وإن لم تفعل فأنت بين شقى رحى « أبو الدهب » الذى يتربص بك، والشرطة التى تعلم عنك كل شىء.

انهار « رشدى » ومال برأسه للخلف وقال :

– لا فائدة إذًا، نتقابل غداً هنا، وستكون كل الأوراق معدة.

– إذن موعدنا غداً فى السادسة مساءً هنا.

وفى صباح اليوم التالى، جاء موعد تسليم « صفوان » للأوراق من « أبو الدهب » فجلس « صفوان » يتناول إفطاره مع « شريف » الذى بدا عليه القلق والتوتر الشديدان فنظر إليه « صفوان » وقال :

– ماذا بك يا « شريف »؟

– إن الموقف فى غاية الدقة يا « صفوان » ، وأى خطأ قد يفسد كل ما قمنا به.

– لا تخف يا صديقى إن الله معنا، وسوف أنصرف الآن، لقد اقترب موعدى مع « أبو الدهب ».

وفقك الله يا صديقى.

وصل « صفوان » فى موعده تمامًا إلى مكتب « أبو الدهب » فاستقبله مرحبًا :

مرحبًا بك لقد جئت فى موعدك تمامًا .

– هذا ما يميز عملنا يا سيدى، فعنصر الوقت مهم جدًّا .

– بهذه المناسبة ما موعد تسلم الشحنة بالضبط ؟

– هذا يتحدد على ضوء الأوراق التى سترسلها معى . وهل قمت بتحويل المبالغ المطلوبة أم لا ؟

– اطمئن فكل شىء جاهز حسبما اتفقت مع اللورد .

– أين الأوراق إذن ؟

– لا تؤاخذنى يا سيدى، فقد بقيت ورقة واحدة مهمة سوف أحصل عليها اليوم ، وسوف أسلمك كل الأوراق فى مكتبى الساعة الحادية عشر مساء .

– لكن يجب ألا تؤخرنى أكثر من ذلك فاللورد ينتظر .

– لا . . لن أتأخر أكثر من ذلك .

وتركه « صفوان » وانصرف .

– جلس « شريف » و« صفوان » يحتسيان الشاى، وكل منهما شارد فى أفكاره وقد وضع « صفوان » فنجانه بعد أن شرب ما فيه،

ونظر إلى « شريف » وقال :

– فى هذا الموقف الجديد هل تعتقد أن عملية تسليم المستندات لها علاقة ولو من بعيد بمقابلتك مع « رشدى » .

– تقصد أن « أبو الدهب » الآن متأكد من خيانة « رشدى » له؟

– أو ربما يرتاب فى شخصيتى أنا كمندوب للمنظمة . ربما أخطأت فى كلمة أو موقف عرف منه حقيقتى، وإذا لم يكن هذان الاحتمالان فلماذا قام بتأجيل عملية تسليم المستندات؟

– إنه شخص فى غاية الحذر، والمعلومات المتوفرة عنه تؤكد أنه دائمًا يغير مواعيد التسليم فى آخر لحظة، بل وأماكن التخزين وأساليبه .

– وكيف عرفت هذه المعلومات يا « شريف »؟

– قرأت تقريرًا سريًّا أُعد عنه، لكن الشرطة لم تتمكن حتى الآن من أى خيط لعملياته السابقة، بالإضافة إلى أنه قليلاً ما يوسط أحدًا ويميل إلى إنجاز معظم أعماله بنفسه .

قال « صفوان » بعد أن هب واقفًا :

– هل قلت ينجز معظم أعماله بنفسه؟

– نعم ، وما يريبك فى هذا القول؟

– إذًا كان يفعل ذلك وله معاونون، فماذا يفعل عندما يكتشف

خيانة أحدهم؟

هل تقصد..؟

نعم أقصد أنه قد يحاول التخلص من «رشدى» الليلة وبنفسه، هذا هو التفسير لقوله: هناك ورقة مهمة ناقصة.

وربما كانت هذه الورقة هى إرسال رسالة شخصية للمنظمة معك بأنه أنهى حياة الخونة، حتى يستعيد ثقتهم فيه، ويطمئنهم إلى أن التعامل معه أصبح آمنًا.

وانطلق الصديقان بأقصى سرعة إلى ڤيلا «رشدى» بينما أشارت عقارب الساعة إلى الخامسة بعد الظهر.

وعند مدخل الڤيلا وجدا سيارة« أبو الدهب» وقد انزوت خلف شجرة، فوضع «شريف» يده قرب المحرك، وقال:

– السيارة دافئة، أى أنه هنا منذ وقت ليس طويلاً.

وعندما تقدم الصديقان إلى داخل الڤيلا وجدا كلاب الحراسة مدرجة فى دمائها وقد أصابتها أعيرة نارية فى مقتل.

قال «شريف»:

– من فعل ذلك لابد أنه يضمر شرًّا، بل ويستعمل كاتمًا للصوت، حتى لا يثير انتباه «رشدى» أو جيرانه.

نظر « شريف » إلى « صفوان » قائلا :

– ابق هنا يا « صفوان » ، يجب أن ألا يراك معى، فأنت فى نظرهم مندوب المنظمة .

دخل « شريف » حتى أصبح فى مواجهة باب المنزل، فوجد الباب مفتوحًا إلى منتصفه فدفعه بحذر، ونظر إلى الداخل فوجد « رشدى » ملقى وسط الردهة غارقًا فى دمائه نتيجة إصابته فى ذراعه وصدره وبجانبه حقيبة مفتوحة وخاوية .

جلس « شريف » على ركبتيه، ومد يده إلى رقبة « رشدى »، فوجد نبضه ضعيفًا جدًا، وما زالت الدماء تنزف منه، ونظر حوله فى حذر محاولاً البحث عن جهاز الهاتف وعن مقتحم القيلا . وهنا وصلت إلى أنفه رائحة دخان قادمة من حجرة المكتب بالدور الأول العلوى فتوجه إليها وفتح الباب بهدوء فوجدها خالية وفى منتصفها مجموعة كبيرة من الأوراق وقد تفحمت تمامًا على أرضية الغرفة، بينما فتحت الخزينة كذلك وفرغت من أوراقها .

رفع « شريف » سماعة الهاتف ليتصل بالإسعاف والنجدة، وما إن بدأ فى إدارة القرص حتى تنبه « أبو الدهب » إلى وجود شخص آخر معه فى القيلا من سماعه لصوت الرنين المتقطع فى تليفون حجرة النوم التى بعثر محتوياتها على أمل العثور على المزيد من المستندات التى قد تدينه؟

فوضع مسدسه المزود بكاتم الصوت خلف رأس « شريف » وقال له :

-هل أنت الرجل الذى كان ينتظره « رشدى » ليسلمه هذه الأوراق؟

أصابت الكلمات « شريفًا » بالوجوم فلم يرد . وأكد « أبو الدهب » قائلاً :

– أعتقد أنك مندوب منظمة « الذئب الأزرق » الذين يتعاونون مع « رشدى » فى الخفاء، ومن وراء ظهرى، على كل حال لقد أخذ جزاء خيانته السابقة وما كان ينوى فعله بتسليمكم الأوراق التى تدينني .

دارت الهواجس فى رأس « شريف » فمن يقتل واحدًا لا مانع عنده من قتل آخر ليخفى جريمته الأولى، بينما « أبو الدهب » يعض على أسنانه قائلاً :

– لا تخف لن أقتلك بل سأرسلك إلى من ينزع منك أسرارًا تهمه ثم يجهز عليك، وسوف تكون هدية مناسبة تعيد الثقة بينى وبين عملائى .

ابتلع « شريف » لعابه بصعوبة، وقال فى نفسه :

– لا بأس من هذا الاقتراح ما دام يعنى بقائى على قيد الحياة بضع ساعات أخرى .

قيَّد « أبو الدهب » يدى « شريف » واقتاده أمامه إلى خارج (الڤيلا)، وانطلق به، وفى ذلك الوقت كان « صفوان » يراقب الموقف من خلف الأشجار وقد تنازعته أحاسيس شتى .

هل ينقذ « شريفًا » فيفتضح أمره وتفسد كل الخطة، أم يترك

« شريفًا » لمصير لا يعلمه إلا الله، وتقلبت داخله أحاسيس تفضيل صالح المجموع على صالح الفرد، ونما داخله شعور بأن الله لن يضيع « شريفًا » فامتلأ أملاً، وتوجه بسرعة إلى داخل (القيلا) وأجرى بعض الإسعافات لوقف نزيف « رشدى »، ثم أبلغ النجدة والإسعاف والقائد بما حدث، فأخبره القائد بضرورة المرور عليه فورًا.

وفى مكتب القائد كان « صفوان » قلقًا على صديقه، وقد بدا ذلك واضحًا عليه فابتسم القائد، وقال له:

– اطمئن يا « صفوان »، إن (القيلا) كانت مراقبة طوال الوقت، وقد توجه « أبو الدهب » الآن إلى مكتبه بعد أن أودع « شريفًا » فى أحد أوكاره تحت حراسة رجاله فنهض « صفوان » قائلاً:

– إذن هيا بنا لإنقاذ « شريف ».

– لا تخف يا « صفوان » فلو كان « أبو الدهب » يريد قتله لقتله داخل (القيلا) وأغلب الظن أنه يريده فى أمر آخر ربما ليعرف أسرارًا من ورائه كما أننا لا نريد إفساد الخطة؟ وما هى إلا بضع ساعات وينتهى كل شىء.

– إذن راقبوا مكان « « شريف » » جيدًا، فقد يعرضونه للتعذيب.

– اطمئن فهذا ما فعلناه، والآن تمالك أعصابك واستعد فلم يبق على موعدك مع « أبو الدهب » إلا القليل.

– حسنًا .. ادع الله لنا بالتوفيق.

– الله معنا.

* * *

٥- رأس الأفعى

فى الحادية عشرة مساءً كان « « صفوان » » يطرق باب مكتب « أبو الدهب » لاستلام الأوراق المهمة؛ فوجد « أبو الدهب » فى انتظاره، وتلقاه مرحبًا:

– مرحبًا بك، لقد أعددت لك الآن كل الأوراق، فخذها، وبدا واضحًا من حديث « أبو الدهب » أن الورقة التى كان يزعم أنها ناقصة هى التخلص من « « رشدى » » كما توقع الصديقان تمامًا، فقال « « صفوان » » وهو يحاول قدر استطاعته أن يبدو متماسكًا.

– حسنًا يا سيدى، أين هى؟

قام « أبو الدهب » وأحضر حقيبة بها القيد المزدوج وقال « لصفوان »:

– عفوًا أعطنى يدك فأنا لا أرسل أى أوراق إلا باستخدام تلك الحقائب، وسوف تجد مفتاحها الآخر مع (اللورد).

وأغلق « أبو الدهب » القيد على معصم « صفوان » وهو يقول:

– أبلغ تحياتى إلى (اللورد) وأخبره أنه سيسمع غدًا أخبارًا سارة، وأرجو أن تحمل معك هديتى له.

– وأين هى الهدية يا سيدى؟ وما نوعيتها؟

– إنه أحد جبناء منظمة « الذئب الأزرق » .

– وكيف سأصطحبه؟ ومعى تلك الحقيبة ذات القيد الحديدى .

– سأرسل معك أحد رجالى ليقود سيارتك ويسلم هديتى، كل ما عليك هو أن ترشده إلى الطريق .

– ولكنك تعلم . .

وقبل أن يكمل « « صفوان » » كلماته قاطعه « أبو الدهب » قائلا :

– أعلم ما تريد قوله، وهو أن (اللورد) لا يطلع أحدًا على مكان إقامته أثناء زيارة بلادنا، وعلى كل حال يمكن استضافة رجلى عندكم حتى مغادرة (اللورد)، وهذا احتياط أوافقكم عليه، وقد حدث من قبل ولم يغضبنى .

وانطلقت السيارة التى تحمل على متنها « شريفًا » مقيد اليدين، و« « صفوان » » وقد التصق بمعصمه القيد والحقيبة، وأحد رجال « أبو الدهب » يقود السيارة حيث أمره « صفوان » .

كان « صفوان » قد علم بمكان إقامة (اللورد) بعد ما أباح به مندوب المنظمة التى قبض عليه .

ولكن « صفوان » لم يتوقع إرسال أحد رجال « أبو الدهب » معه، لذلك أخذ طوال الطريق يفكر فى طريقة للتخلص من هذا الضيف الثقيل لحل المشكلة الكبرى، وهى كيف سيواجههم « صفوان » وهو

ليس مندوبهم، ولابد أن أمره سينكشف بمجرد وصوله لمقر (اللورد) ولكن رجال مخابراتنا لا يتركون شيئًا للمصادفة. وتذكر « صفوان » أوامر القائد بضرورة تلقى أوامر جديدة فى إحدى المزارع على الطريق. وعند أحد الطرق الفرعية طلب « صفوان » من قائد السيارة أن ينحرف إلى هذا الطريق التابع لأحد أعوانهم لأمر مهم، وتناول بعض المشروبات الساخنة.

انحرف السائق إلى حيث أمره « صفوان »، ودخل إلى المزرعة واستقبلهم شاب رحب « بصفوان »، وكأنه مندوب (اللورد) وسأله عن رفاقه فى السيارة، فقال « صفوان » مشيرًا إلى السائق و« شريف ».

– هذا مندوب السيد « أبو الدهب » أما الآخر فهو هدية إلى (اللورد).

– حقًا؟ إن هدايا السيد « أبو الدهب » دائمًا قيمة، تفضلوا لتناول بعض المشروبات الساخنة فى هذا الجو البارد.

قال « صفوان »:

– هذا ما جئنا من أجله بالضبط.

فهم الشاب – الذى لم يكن سوى أحد رجال المخابرات– ما ترمز إليه كلمات « صفوان » واصطحبهم إلى الداخل.

شرب الجميع المشروب الساخن، وبدأ الدفء يسرى فى أوصالهم، أما مندوب « أبو الدهب » فقد بدأت عيناه تغمضان شيئًا فشيئًا، حتى

راح فى سبات عميق، وسقط من فوق مقعده.

وفى لحظات :

امتلأ المكان بمجموعة كبيرة من الرجال، وبدأ كل منهم يقوم بعمل محدد.

حمل الرجال الرجل المغشى عليه وألقوا ببعض الدماء على ملابسه ووضعوا أربطة من الشاش على وجهه، ثم قيدوه.

نظر «صفوان» إلى ضابط المخابرات وقال:

– ماذا يفعل رجالك يا سيدى؟

ابتسم الضابط وقال :

– نحاول حل بعض مشاكلكم أنت و«شريف».

– إن عندنا مشاكل أعقد من ذلك.

– إذن حدثنا عنها.

– أولاً كيف سنسلم «شريفًا» لهم على أنه عضو منظمة «الذئب الأزرق»؟

هل أسلم صديقى بيدى هاتين إلى أعدائه؟

قال الضابط:

– تفكر فى صديقك أولاً بالرغم من أن مشكلته أبسط كثيرًا من

مشكلتك ؟!

أجاب الضابط بهدوء :

– بالنسبة « لشريف » سنقوم بتبادل الأدوار بينه وبين مندوب « أبو الدهب » فيصبح « شريف » هو مندوب « أبو الدهب » إلى (اللورد)، ويصبح مندوب « أبو الدهب » – هذا الذى لن يفيق قبل عدة ساعات– هو عضو منظمة « الذئب الأزرق »، وسنسلمه إلى (اللورد) بهذه الصفة، وبذلك لا يتعرض « شريف » لأذى.

صاح « شريف » :

– إنها فكرة ذكية حقًّا. وماذا عن « صفوان » الذى سيكتشفون أمره بمجرد رؤيته؟

– عندنا خطة لذلك نأمل أن تنجح بإذن الله.

– وما هى؟

– سوف ندخل فى روعهم أنكم تعرضتم لحادث بسيط.

– أرجو المزيد من التوضيح من فضلك.

– إن مندوب (اللورد) الذى قبضنا عليه كان ضخم الجثة وذا ملامح آسيوية.

– نعم، وهذا ما جعلنى أفكر فى أن يحل « صفوان » محله، لأنه له نفس الملامح تقريبًا.

– هذا هو بيت القصيد يا « شريف » فهناك ملامح أو صفات عامة تميز سكان مناطق جنوب شرق آسيا، حتى أننا كثيرًا لا نستطيع أن نفرق بينهم.

– نعم هذا صحيح.

– سوف نضع ضمادات على وجه « صفوان » بحيث لا يظهر منه سوى العينين باعتباره أصيب فى الحادث المزعوم، وتذكر أن « لصفوان » نفس الحجم، ويرتدى ملابسه، ويحمل سلسلة مفاتيحه التى هى وسيلة التعارف، وفوق ذلك كله يستقل سيارته، ومعه حقيبة « أبو الدهب ».

– وماذا عن إصابتى أنا ؟

– سوف نضمد ذراعك فقط لكى تستطيع قيادة السيارة يا مندوب « أبو الدهب ».

– إنها حقًّا خدعة قد حبكت خيوطها بإحكام.

نظر « صفوان » إلى الحقيبة المقيدة إلى معصمه، وفى نفس اللحظة دخل خبير المفرقعات وأخذ يعمل بهدوء على إبطال عمل جهاز التفجير، فسأله « صفوان » :

– ألن تقوم بفتحها؟

– لا حاجة لنا لذلك، خاصة أنها يجب أن تصل سليمة إلى

(اللورد) ورجاله، وسوف يظنون أن الحادث هو الذى أحدث خللا فى جهاز التفجير، وأوقف الساعة الألكترونية المتصلة به، ولا تنس أن إيقاف جهاز التفجير لم يقض على الخطر تمامًا، فأنت ما زلت تحمل كيلوجرام تقريبًا من مادة شديدة الانفجار، موزعة فى أنحاء الحقيبة.

قال « صفوان » :

– إنها مهمة خطرة لا شك فى ذلك.

– أعتقد أنكم معى فى أن كل شىء يبدو هينًا فى سبيل الوصول إلى رأس الأفعى، ومعرفة موعد وصول تلك الشحنة إلى البلاد، والقبض على هؤلاء فى حالة تلبس.

قال « صفوان » متسائلاً :

– ولماذا لا تقبضون عليهم ونحن جميعًا نعرف مكانهم الآن؟

– أولاً : ليس لدينا حتى الآن دليل مادى يدينهم، والأهم من ذلك أن (اللورد) مثل الثعلب، فقد لا يكون متواجدًا حيث تذهبون الآن، فهو كثير التنقل وحذر للغاية، وإذا أحس بأى شىء سوف يفلت من قبضتنا.

– وما العمل إذن؟

– سنمدكم بجهاز إرسال صغير جدًّا بمجرد الضغط عليه نعرف أنكم متواجدون فى نفس مكان (اللورد) ورجاله، وسوف نتخذ كل التدابير التى تحفظ سلامتكم فى هذه المهمة.

أصدر الضابط إشارة إلى أحد معاونيه، فقام على الفور واستقل سيارتهم و اصطدم بها فى إحدى الأشجار بقوة فتناثر زجاجها وتهشمت مقدمتها، ولكنها كانت تستطيع مواصلة رحلتها.

وبعد ذلك قاد « شريف » السيارة وبجانبه « صفوان » وخلفهم مندوب « أبو الدهب » وهو مقيد.

وصلت السيارة التى تقل الأصدقاء إلى (ڤيلا) فى مكان منعزل على شاطئ البحر، وبمجرد اقترابها من الباب الخارجى برزت مجموعة من الرجال المسلحين اعترضوا طريقهم، وصاح أحدهم:

– أين تذهبون؟

رد عليهم « شريف » بثقة :

– أنا مندوب السيد « أبو الدهب »، ومعى عضو من منظمة « الذئب الأزرق » وقع فى قبضتنا وهذا مندوبكم.

– وماذا حدث لسيارتكم، ولكم؟

– حادث فى أثناء قدومنا إلى هنا.

وهنا صاح « صفوان » وهو يلوح بسلسلة مفاتيحه :

– لا تضيعوا الوقت وخلصونى من تلك القنبلة الموقوتة المقيدة فى يدى، فقد تعطلت ساعتها الألكترونية من أثر الحادث، وقد تنفجر فى أى لحظة.

ظهر الارتباك على الرجال، وقاموا على الفور بالاتصال بمن هم داخل (الڤيلا)، فسألوهم عن رقم الحقيبة، فاقترب أحد الرجال بحذر من « صفوان » وأخذ يقرأ الأرقام المدونة على أحد جوانب الحقيبة، ثم أبلغها إليهم، فسمحوا لهم بالدخول.

وفى الداخل قام الرجال بنقل المندوب المقيد والمغشى عليه، وأمرهم « شريف » بالتحفظ عليه جيداً، حتى يفيق فهو هدية السيد « أبو الدهب » إلى (اللورد).

وتقدم أحد كبار معاونى (اللورد) من « صفوان » الذى أولاه ظهره، وقال له:

– مرحبًا بك يا رجل المهمات الصعبة، ماذا أصابك؟

أجاب « شريف » ليجنب « صفوان » الكلام؛ حتى لا يتعرف عليه من صورته:

– تعرضنا لحادث فى الطريق، وقمت بعمل بعض الإسعافات الأولية له، والآن أين (اللورد) ليأخذ حقيبته ويتسلم هديته؟

– للأسف الشديد ليس موجودًا هنا الآن.

اختلس « شريف » نظرة إلى « صفوان »، وقال للرجل :

– إذن خذنا إليه.

– حالاً.

وأمر الرجل بتجهيز (زورق) سريع استقله الصديقان ومعاون (اللورد)، وانطلق (الزورق) فى طريقه وسط أمواج عالية، وبعد فترة ظهرت من بعيد سفينة بدت من أضوائها أنها ضخمة وأرسل إليها (الزورق) إشارة ضوئية، فردّت عليه بمثلها، ووصلوا إلى السفينة وصعدوا إلى سطحها، وهنا تقدم « شريف » أمام « صفوان » فى حركة تلقائية لحماية زميله ومجابهة أى خطر قد يتعرضون له، فأمر (اللورد) بدخول الصديقين، فدخلا إلى صالة (البلياردو)، وكان الرجل ممسكًا بالعصا محاولاً إصابة الكرة وإلقاءها داخل الثقب ولكنه أخطأ عدة مرات فقال :

– إن حظى عاثر اليوم .

ألقى الصديقان التحية، فرفع رأسه ليرد عليهما التحية ولكن المفاجأة ألجمته، وصاح فى غضب :

– من ؟! « شريف فهمى »، وعلى سفينتى ؟!

ولم يكن الرجل سوى « البدراوى » العدو اللدود لهما، وهنا ضغط « « صفوان » » على جهاز الإرسال ليعلن للقوات وجود (اللورد) فى هذا المكان، وتقدم الرجل من « صفوان » ونزع الضمادات من على وجهه، وقال :

– « صفوان » أيضًا، ويحمل حقيبة المستندات، ما أعظم الخطب وفداحة المصيبة، ماذا أفعل معكما؟ هل أنتما قضاء لا مفر منه؛ كلما سرت فى طريق أجدكما أمامى ؟

ونظر إلى معاونيه وقال :

– إنهما دخلاء أيها الأغبياء.

وعلى الفور أحاط رجال «البدراوى» «بشريف» و«صفوان» ولكن فى لحظة طوح «صفوان» بالحقيبة فى الهواء فأصابت «البدراوى» فى وجهه، بينما فر باقى الرجال خوفًا من انفجارها وهم يصيحون :

– أيها المجنون سوف تنفجر وتقضى علينا جميعًا، وانطلق الصديقان وسط ذهول الرجال داخل ممرات السفينة الضخمة حتى وصلا إلى غرفة أو مخزن ضخم مليء بالبراميل، وقال «« شريف »» :

– سوف يجدوننا لا محالة.

– لكن يجب أن نضيع بعض الوقت حتى تصل النجدة، هيا ضع نفسك فى أحد هذه البراميل النصف مملوءة، وضع غطاءها فوق رأسك، وسأهبط أنا فى الآخر وكانت البراميل مملوءة بالشحم إلى منتصفها، وصاح «صفوان» : قدمى، وانطلقت (صفارة) الإنذار مدوية على سطح السفينة فتدافع الرجال فى بحث محموم عن هذين الرجلين غير المرغوب فى وجودهما، ودخلت مجموعة من الرجال المخزن الذى يختبئ فيه الصديقان وأخذوا يطلقون النار للإرهاب، وقال أحدهم :

– لا تنس أنهم يحملون حقيبة ملغومة قد تنسف السفينة، كما

أن (اللورد) يريدهم أحياء فصاح الرجل وهو يتجول وسط البراميل :

– اخرجوا أيها الجبناء، هل تختبئون كالجرذان؟

ولم يتحمل « صفوان » تلك النعوت، فدفع غطاء البرميل فى وجهه وهو يقول :

– ها أنا ذا أرنى قوتك وشجاعتك .

فسقط الرجل على ظهره، وجثم « صفوان » فوق صدره وسدد له عدة لكمات قوية أفقدته الوعى .

وبعد معركة قصيرة تكاثر فيها الرجال عليهما تم الإمساك بهما .

ودخلا مرة أخرى على « البدراوى » الذى كان لا يزال يضمد جرحًا فى جبهته وأنفه من جراء قذف « صفوان » للحقيبة فى وجهه .

قال « صفوان » :

– ليتها أطاحت برأسك الشريرة .

قال « البدراوى » فى غيظ :

– هذه المرة ستكون نهايتكما .

قال « شريف » .

– ولكنى أريد أن أسألك بضعة أسئلة .

– بل أنا الذى أسألك كيف وصلتما إلى هنا ؟!

أظنك ستقول أنكما ضللتما الطريق فى البحر، وعثرتما على سفينتنا بالصدفة، وأطلق صيحة عالية.

قال «صفوان» :

– أنت تعلم أنّا لم نكن أبدًا لنكذب تحت أى ظرف من الظروف.

– لذلك سأدعك تعرف ما تريد يا «شريف» قبل أن تلقى حتفك، ولكن لك ثلاثة أسئلة فقط.

– سؤالى الأول هو لماذا تهربون الأسلحة إلى بلادنا الهادئة الآمنة؟

ضحك «البدراوى» وقال:

– سؤال ساذج، لم أعهده على من هو فى مثل ذكائك يا «شريف»، ولكن على كل حال سأجيبك عليه... أولاً: لأن هذه التجارة رائجة وتدر ربحًا عاليًا، وثانيًا: هى تجارة لا تنضب مصادر تصنيعها، ولا تُغلق أبواب أسواقها؛ فالمرء منذ بدء الخليقة يشعر بالثقة عندما يحمل سلاحًا، هل تعلم يا «شريف» أنه منذ فجر التاريخ لم تهنأ كرتنا الأرضية بالهدوء والأمان دون حروب غير مائة وخمسين عامًا فقط، وهى كل فترة السلام التى عمت أرجاء الأرض؟

صاح «شريف» :

– فقط ؟!

– نعم، فالحرب والقتال من صفات البشر، وهى سنة من سنن الحياة.

– لا، لم تكن أبدًا من صفات البشر، هذا تعميم خاطئ.

– إذن فلنقل إنها من صفات بعض البشر، والبعض الآخر يحاول الدفاع عن نفسه، وفى الحالتين نصل لنفس النتيجة، فالطرفان يحتاجان إلى سلاح.

– ولماذا بلادنا بالذات ؟!

– تذكر يا «شريف» هذا سؤالك الثانى، والإجابة عليه كما قلت لك سابقًا: نحن نتواجد حيث توجد الضغائن والأحقاد، وهذه لا تخلو بلد منها، ولنا عملاء عندكم يشترون السلاح منا ويبيعونه لمن يطلبه فيحركون به نيران الفتنة، ويمدون به طالبى الثأر، ويوقظون جذوة الأحقاد القديمة، بينما يستخدمه البعض فى الدفاع عن النفس والمال، ويستخدمه آخرون للوثوب إلى السلطة بقوة السلاح، أو لتصفية أعدائهم، أو لحماية تجارتهم الممنوعة، أو السلب والنهب إنه أمر يطول شرحه، فاستخدامات السلاح لا نهاية لها.

– سؤالى الثالث هو ألن تتوب أبدًا يا «بدراوى» عما أنت فيه؛ وتعود إلى رشدك، وترجع عن غيك؟

لن أجيبك عن هذا السؤال ياشريف، لأنه خارج الموضوع، ولا شأن لك به.

– ثم قال مستهزئًا :

والآن جاءت النهاية، كم سأشتاق إليك يا « شريف »، وإلى بطولاتك التى لم تجن من ورائها شيئًا يا مسكين.

ضحك « البدراوى » ضحكة عالية، وهو يحرر معصم « صفوان » من الحقيبة، ويضع مكانها قيدًا آخر فى إحدى يديه، وطرفه الآخر فى معصم « شريف »، وقال :

– والآن لن أقتلك يا « شريف » بل سأدع صديقك « صفوان » هو الذى يقتلك، فأنا أعلم كم يحب كل منكما الآخر، وهذا أعظم انتقام.

جحظت عينا « شريف » و« صفوان » من تلك المفاجأة، وتم اقتياد الصديقين وهما فى حالة يُرثى لها قال « البدراوى » مستهزئًا :

– هل لديكم أى مشاكل أستطيع أن أحلها لكما؟

أجاب « صفوان » على سخريته بسخرية أخرى قائلاً :

– أريد غسل قدمى من الشحم.

– سيقوم البحر بهذه المهمة، وما هى إلا ثوانٍ وتنتهى أيضًا جميع مشاكلك الأخرى، فسوف تكون فى الآخرة، أما أسماك القرش فستدعو لنا على هذه الوليمة الدسمة، ونظر إلى « شريف » قائلاً :

– والآن سنطلق النار على صديقك وعندها سيصحبك هو إلى

الأعماق، اعتن بحملك الثقيل يا «شريفًا» ورحلة سعيدة.

وأطلق معاون «البدراوى» النار على صدر «صفوان»، فسقط فى البحر جاذبًا معه «شريف»، وفى نفس اللحظة انطلقت (صفارة) زوارق حرس السواحل وبدأت تقترب من السفينة منذرة أفرادها بالاستسلام دون مقاومة.

انطلقت السفينة قاصدة المياه الدولية وسط معركة شرسة استخدمت فيها كل الأسلحة لمنع وصول رجال السواحل إليها، ولكن النصر كُتب لقوات حرس السواحل التى كانت تساندها وحدات من القوات البحرية.

وفى صباح اليوم التالى تم اقتياد معاون «البدراوى» لإجراء التحقيقات معه، وعندما دخل إلى غرفة التحقيق بُهت مما رآه، فقد وجد أن «شريفًا» و«صفوان» يجلسان على الأريكة فى حجرة المحقق؛ فصاح الرجل فى ذهول:

– أنتما، كيف نجيتما من الرصاص والبحر وأسماك القرش، إنكما من الجن لا محالة؟

قال «شريف» مبتسمًا:

– إنها إرادة الله يا رجل، فالرصاص الذى أطلقته على «صفوان» لم ينفذ من القميص الواقى للرصاص الذى كنا نرتديه، أما أسماك القرش فقد نفرتها منا رائحة الشحم واللون الأسود العالق بأقدامنا، أما

البحر فقد تعاونا بذراعينا المقيدتين إلى بعضهما فكانا أقوى من السباحة من ذراع واحدة، وسبحنا حتى قامت (لنشات) القوات البحرية بانتشالنا.

نظر «شريف» إلى القائد الذى دخل إلى الغرفة وسأله متلهفًا :

– هل قبضتم على «البدراوى» ؟

أجاب القائد :

– لقد فر أثناء المعركة بقارب سريع، وما أحسبه إلا متواجدًا فى إحدى الجزر القريبة وسوف نبذل قصارى جهدنا للقبض عليه، وتقديمه للعدالة.

سأله المحقق :

– هل عثرتم على أى أسلحة على السفينة، فهذه هى التهمة الرئيسية التى سنوجهها للمتهمين ؟

– أليست محاولة قتلنا تهمة، ومقاومة السلطات تهمة أيضًا ؟

على كل حال انظر إلى قدمى تعرف مكان السلاح.

تعجب المحقق، ولكنه نظر إلى قدم «صفوان» وقال :

– لا أرى فى قدمك إلا جرحًا نافذًا.

– نعم لقد حدث هذا الجرح عندما اختبأت فى أحد براميل الشحم.

– إذن تقصد أن السلاح يتم فك أجزائه، وتهريبها فى براميل الشحم؟

– نعم يا سيدى، ثم بعد ذلك تشحن إلى محطات خدمة السيارات التابعة لشركة «أبو الدهب» ويعاد تجميعها من جديد.

قال المحقق :

– هذا الكلام وإن صح فى حق السفينة فإنه ينقص الدليل فى حق «أبو الدهب»، خاصة أنه رجل ذو حصانة.

نظر «« شريف »» إلى القائد، وقال :

– ماذا حدث «لرشدى»، هل مات ؟

– لا، لكن حالته لا تسمح باستجوابه.

– إنه الشاهد الوحيد على أفعال «أبو الدهب» ، خاصة بعد صدمة المستندات، كما أنه الوحيد الذى يمكن أن يدلنا على مكان تخزينه للسلاح، واتهام «أبو الدهب» بمحاولة قتله.

قال القائد :

– هذا كله صحيح، ولكن هناك شاهد آخر عنده أكثر من دليل يدين «أبو الدهب» بل وأدلة دامغة، وسوف يكون مفاجأة لك يا «« شريف »».

ودخل الرجل إلى الغرفة، وكان يتوكأ على عصا، ويرتدى (بالطو)

وإحدى ذراعيه فارغة وكأنها مبتورة، فقدمه القائد قائلاً :

– أقدم لكم السيد « قدرى الفوال » الذى عثرنا على ذراعه مقيدة إلى الحقيبة، إنه لم يلق حتفه كما تصورنا يا « شريف » .

ووسط دهشة الجميع أخذ « قدرى الفوال » يروى كيف نجا فى تلك الليلة العاصفة، قال :

– عندما قمت بتدخين السيجارتين دارت رأسى، وفقدت توازنى، وسقطت فى البحر مع أول موجة عالية أطاحت بالقارب لأعلى، وتلقفتنى إحدى أسماك القرش بعد أن سبحت بسرعة نحوى، وقضمت ذراعى المقيد إلى الحقيبة بالقيد المزدوج، فأفقت من شدة الألم، واستيقظ داخلى أمل قوى فى التشبث بالحياة، وشعرت بنفسى أطفو بسرعة إلى أعلى، بعد أن تحررت من ثقل الحقيبة التى أخذت تغوص بسرعة إلى أسفل وفيها ذراعى المبتورة تقطر دمًا، وسمكة القرش المفترسة تتبعها ولكن الذراع والحقيبة حُشرا وسط الشعاب المرجانية، وعادت السمكة وقد أصابها الجنون لتجهز على قدمى بقوة، وأحدثت فيه جروحًا غائرة، وسال منه الدم بشدة فازدادت السمكة توحشًا وازددت أنا تمسكًا بالحياة، وأخرجت سكينًا حادًّا طعنت به سمكة القرش، وفقدت الطريق إلى قاربى الذى أبعدته الأمواج بسرعة، ولكن تشاء قدرة الله أن يرانى مركب صيد فانتشلونى، وعندها رحت فى غيبوبة كاملة.

سأله « شريف » :

– من كان يعرف هذه المهمة، ومن الذى اصطحبك فيها حتى ركبت القارب؟

– «رشدى» أوصلنى بسيارته فى ذلك اليوم إلى حيث استقل القارب، وأخبرنى بإيداع مبلغ باسمى فى أحد البنوك كمكافأة عن هذه العملية، وقمت بتدوين رقم الحساب على علبة الثقاب.

سؤال آخر من فضلك: هل كان «رشدى» يستطيع الحصول على النسخة الأصلية للمفتاح؟

– نعم، وذلك بسبب قربه من «أبو الدهب» وثقته فيه.

– هل تشك فى أنه استولى على ما معك من أوراق؟

– لقد تذكرتُ، فعندما كنا فى السيارة قدم لى سيجارة يبدو أنها كانت من ذلك النوع المخدر، فرحت فى غفوة، ومن الممكن أنه قد يكون استغلها واستولى على الأوراق من الحقيبة.

أضاف «شريف»:

– ووضع مكانها أوراقًا بيضاء حتى لا تحس بفرق الوزن، وخبأ هو هذه الأوراق فى خزينته واستولينا نحن عليها مرة أخرى، ووضعنا مكانها أوراقًا بيضاء وخطابًا مزيفًا من «أبو الدهب» نجحنا به فى زرع الشك بينهما، ثم عدنا ووضعنا الأوراق الحقيقية فى مكتبه، وعثر عليه «أبو الدهب» فتأكد من خيانته، وهكذا اختلف اللصان وظهر السر.

سأله القائد بدوره :

– أين يخفى « أبو الدهب » السلاح ؟

قال « قدرى الفوال » :

فى براميل الشحم الموجودة على السفينة .

– وماذا عن جرائمه السابقة ؟

– إن القضاء لا ينسى والعدالة لا تموت مهما طال الزمن، وعندما تثبت فى حقه التهم سيلقى جزاءه عن كل ما اقترفت يداه اليوم وأمس، فالقانون لا يفرق بين أمير وحقير، وسوف تكون شاهداً رئيسيًّا فى القضية .

– نعم يا سيدى، عسى الله أن يغفر لى .

* * *